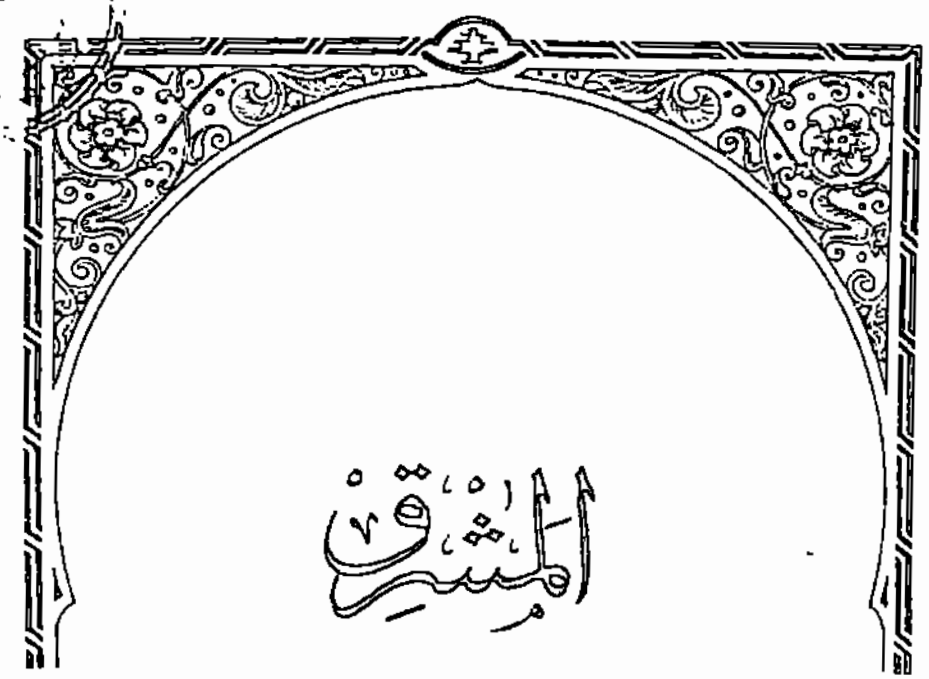

السنة الثامنة والخمسون

ايار – حزيران ١٩٦٤

كتاب اعلام الهدى وعقيدة ارباب التقى

للشيخ شهاب الدين السهروردي

نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

نزف الى قرّاء هذه المجلة الكرام كتاب أعلام الهدى للسهروردي وفيه من ضروب التحليل النفساني واللاهوتي ما يروق القارئ البصير. وهذا الكتاب هو حلقة جليلة بين مؤلفات الصوفي الكبير وكأنه اختصر فيه ما ضمّنه كتبه الباقية. وهو من مخطوطات المكتبة الشرقية.

ولقد نُسخ كتابنا هذا على ورق عادي بخطّ رقعي واضح ومتقن وتضمّن عشرة فصول لا تتجاوز كلها الثلاث وعشرين صفحة بطول ٢٢ س. وبعرض ١٤ س. يحتوي كل سطر من الصفحة على سبع عشرة كلمة.

وُلد السهروردي في سهرورد في اواخر رجب من سنة ٥٣٩(١١٤٥م)وتوفي في المحرّم من سنة ٦٣٢(١٢٣٤م).كان متديّناً ولقد تغلّب عليه حب التفكير فجمع

في ثقافته لا الامور الاسلامية فحسب ولكن كل ما يوسّع آفاقه ويجعله في جو يستطيع من خلاله ان يتطلّع الى ما وراء هذا العالم فيكتسبنا على الله في العقيدة الصحيحة وعلى التنزيه وصفات الله الذاتية وقدرة الله وخلق افعال العباد وعلى كلام الله تعالى وعلى الآيات والاخبار الواردة في الصفات وعلى رؤية الله وعلى الشهادة ان محمداً رسول الله وعلى اصحاب رسول الله واخيراً على الموت وما بعده من الامور الاخروية . وكل ذلك عن درس وتحليل وعن اختبار وحياة. ولذا فمؤلفات السهروردي تحملنا دوماً الى الزيادة من التفكير والى الاستزادة من التشرّق الى أجواء صافية يسبح فيها عن جدارة وكفاءة .

دع القارئ الكريم هذه الفصول القصيرة التي يبين فيها المؤلف عقيدة اهل التصوّف .

هـــذا كتاب اعلام الهدى
للشيخ المحقق العارف بالله تعالى
شهاب الدين السهروردي
قدس الله تعالى سره العالي

بسم الله الرحمن الرحيم وبـــه نستعين

الحمد لله الذي رفع غشاوة الغمّة عن بصائر اهل الرشاد وهداهم بنور اصطفائه الى اقوم مناهج الرشاد وزكّى نفوسهم عن الميل الى الدنيا حتى سلكوا اعدل طريق الزهاد وحمى قلوبهم عن الزيغ بالاهواء المردية بصحيح الاعتقاد واوردهم مناهل صفو اليقين حتى انحسمت من بواطنهم مادّة الريب والعناد وأترعت لهم كؤوس الفهوم من كوثر غرائب العلوم بما ترادفت عليهم من الامداد تعزف في وجوههم نضرة نعيم المعرفة وبشر الظفر بالمراد ونودي في سرّهم اخفاء من زرّهم ان هذا لرزقنا ماله من نفاد . احمده على ما منح من السداد واشكره على ما منع من موجبات الابعاد واشهد ان لا اله الاّ الله وحده لا شريك له شهادة دائمة النور ابد الآباد . واشهد انّ محمّدا عبده ورسوله المبعوث الى كافة العباد صلوات الله عليه وعلى آله الاكرمين الامجاد . وبعد فقد التمس منّي وانا مجاور بمكّة حرسها الله وزادها شرّفاً اخٌ من المسلمين وانّى وإيّاه في الطواف حول الكعبة المقدسة المعظمة ان اكتب له عقيدة يتمسك بها وكان من قبله سبق هذا الالتماس من غيره ولم ينشرح صدري للاجابة فلمّا وردت عليّ مسئلة هذا الاخ وجدت من باطني مجيباً له الى ذلك ثمّ انى توقّفت

اذ رأيت الوقت بمكّة عزيزاً جدّا يعز ان يُشغَل بغير الصلاة والطّواف والتلاوة مع ما بلى به الانسان من صرف بعضه الى الاكل والنوم والاهتمام بمصالح ضرورية ومسئلة الاخ تتقاضى باداء حقه ثمّ علمت انّى ان ارخيت عنان المراد ربما اتسعت النفس وجذبت الى مطالعة الكتب واستخراج المسموعات المسندة لتقييد ما اذكره بالاحاديث المسندة ومطالعة اقاويل الفرق ويصير لما خطر لى تَعَب لا يفى بها الوقت فاستخرت الله تع ودعوتُ فى الملتزم والمستجاب وتمسكت بالاركان والاستار وسألت الله تع ان ينفع بما اذكره ويجعله خالصا لوجهه ويحرسنى فيه من الخطاء والزّلل وبعد الاستخارة والدّعاء استمليت هذا المختصر من باطنى وشرطتُ على نفسى ان يكون القلب ناظراً الى الله تع مستعيناً به وربما كان الخاطر يقف فى شئ منه فاطوف حول الكعبة حتّى ينشرح الصدر للقول وسمّيته اعلام الهدى وعقيدة ارباب التقى ورتّبته على عشرة فصول والله الموفق والمعين . الفصل الاوّل فى شرح العقيدة الصحيحة ومنشأها ووجه تطرّق الفساد اليها . الفصل الثانى فى شهادة ان لا اله الاّ الله وتنزيهه . الفصل الثالث فى صفات الله الذاتية . الفصل الرابع فى قدرة الله تع وخلقه افعال العباد . الفصل الخامس فى كلام الله تع وما خاضَ الناس فيه من القول الفصل . السادس فى القول فى الايات والاخبار الواردة فى الصفات . الفصل السابع فى رؤية الله تبارك وتعالى . الفصل الثامن فى شهادة ان محمّدًا رسول الله صلى الله عليه وسلّم . الفصل التاسع فى ذكر اصحاب رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم ورضى الله عنهم . الفصل العاشر فى ذكر الموت وما بعده من الامور الاخروية وذكر الساعة وانا اسئل الله تع ان يحفظ القلب الذى هو مقلّبه والمودع فيه ما يشاء من اثار رحمته وتنابيس موهبته من نزَغات الشيطان وهَتَوات الطبع ويكون حركة يدى وارادة قلبى لا تنفكّ عن النيّة الصالحة فيه ان شاء الله سبحانه وتعالى .

« الفصل الاوّل فى شرح العقيدة الصحيحة »

اعلم ايّدك الله تع ان العقيدة الصحيحة هى العقيدة السليمة من الاهواء انتجها قلبٌ حىّ بذكر الله تع وهو القلب المزيّن بالتقوى المؤيّد بالهدى الذى تَشَعْشَع فيه نور الايقان وظهر اثر نوره على الجوارح والاركان حتّى صارت مقيّدة باوامر الشرع محفوظة من هفوات الطبع وهو قلب ردّه الله تع الى طهارة الفطرة وخلّصه من اثر كلّ مسموع يتكرّر على النفس فيتطبع فى النفس منه ظنٌّ ووهم يشغل كلّيّتها فلا يبقى فيها لغير ما ظنّتْه وتوهّمتْه مساغٌ ولا يكون مثل هذا القلب الاّ الزاهد فى الدنيا لانه قلب محفوف بالنور والقلب المحفوف بالنور قلب الزاهد . قال رسول الله

صلى الله تع عليه وسلّم النور اذا وقع فى القلب انشرح وانفسح . قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم ان التجافى عن دار الغرور والانابة فى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وكثير من المسلمين تمسّكوا بعقيدة تقررت عندهم ادلّتها وشهرت بزعمهم براهينها اذا اعترضهم العالم الزاهد يخدمهم يُخلدون الى تقليد هو عندهم كمال التوحيد واذا استبرّت احوالهم تجدهم مقلّدين لمن حسن فيهم ظنّهم من مشايخهم وتمّتهم واعتقدوا فيهم قوّة العلم والنظر بالصحيح فتلقّوا منهم العقيدة وسمعوا منهم ادلّتها فامتلأ وَهْمهم وخيالهم بما يسمعون فظنّوا انهم ظفروا وكل حزب بما لديهم فرحون وقد يتمسّك بعقيدة من لم يخالط العلماء زيادة مخالطة ولكن يسمع من المخالطين له والمخالطين والمجتمعين على الشيء من اهل محلّته وبلدته فيتمسّك بما تمسّكوا به ويكفّر من لا يعتقد معتقده وقد يلتحق كثير ممّن يزعم انه صار بالدليل بهذا العمى ويكون مقلّد متبوعه والنفوس تسترق وتتطبع وتقتنص فيها اشياء وهذا من غير ان يشعروا لتحاميها وعلى هذا جبلت وطبعت وهذا شرخٌ عميقٌ وغورٌ بعيد ولمّا كانت هذه الفتنة ممّا عمّ بها البلوى وصدّت عن الهدى فلا طريق الى النجاة الاّ صدق الافتقار وحسن الالتجاء الى المولى حتّى يكشف هذه الغمّة ويرشد الى الحقّ المصرف من قرع باب الطلب من الامة ومن انتزع من قلبه الهوى فظفر بحسن الاهتداء ينظر بعين الرحمة الى المحجوبين ولا يكون فظّا غليظ القلب على ارباب اختلاف الآراء كافة من اهل القبلة من المسلمين كافة ونستعين بالله تع فى تفهيم الطالبين المسترشدين ولمّا ضحّت العقول واعتدلت فى زمن رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم بما افاض الله تع عليهم من اثار الوحى السّماويّ وانوار القلب المقدّس النبوى انخلعت النفوس من العادة واذعنت الطاعة والعبادة وتشرّبت القلوب الزهد فى الدنيا وعانقت الاقبال على الله تعالى والاخرى واستشفّت انوار اليقين من وراء استار الغيب وانسلخت عن كلّ شكّ وريب لا جرم اتّحدت العقايد وصارت القلوب قلباً واحداً والاراء رأياً واحداً كما وصفهم الله تع (كأنّهم بنيان مرصوص) فتبيّن بذلك ان ما حدث فيما بعد ذلك من الاختلافات لم يكن الاّ لما تكوّن من الانحراف فلمّا انحلّت عزايم الزاهدين وتزعزعت ابنية المتقين تطرّق الى العقايد الشيطان وزعزع اصول الايمان فمن اراد العقيدة الصحيحة من كل عيب وعوار فعليه باقتفاء تلك الاثار حتى يكشف عن قلبه غشاوة الحجب والاستار ويظفر بكنز الاسرار ويتاوتر عليه الامداد والانوار قال الله تع واتقوا الله ويعلّمكم الله جعل العلم النافع معذوقاً بالتقوى ولا شبهة ان الهوى شريك العمى والله تع بفضله ينقذ من الضلال ويعين على اصلاح الحال.

« الفصل الثاني في شهادة ان لا اله الا الله والتوحيد والتنزيه »

علم القلب الصحيح وحكم العقل السليم وشهد العلم الراسخ بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته واولوا العلم حيث قال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم تعالى الله لا اله الا الله لا ضدّ له ولا ندّ ولا شبه له ولا مثل له لا ولد له ولا والد له ولا وزير له ولا نظير له لا يدرك كنه عظمته الاوهام ولا يبلغ بنائه وكبرائه شأوَ الافهام ولا يعترى ذاته المقدس التأثر والتغيّر والآلام والاسقام والسنة والمنام والافتراق والالمام جلّ عمّا يجول به الوسواس وعظم عمّا يتكيّفه الحواس وكبر عمّا يحكم به القياس لا يصوّره خيال ولا يشاكله مثال ولا ينوبه زوال ولا يشوبه انتقال ولا يلحقه فكر ولا يحصره ذكر قيوم ازلىّ ديموم سرمدىّ لا تحدّ ابديّته بمتى ولا تقيّد ابديّته بحتّى لا ينطلق عليه التعيين ولا يتطرّق اليه التأيين ان قلت اين فقد سبق المكان وان قلت متى فقد تقدّم الازمان وان قلت كيف فقد جاوز الاشباه والامثال والاقران وان طلبت الدّليل فقد غلب الخبرَ العيانَ وان رُمْتَ البيان فذرات الكائنات بيان وبرهان اوّل آخر ظاهر باطن تفانت الاوائل والاواخر في ازليته وابديّته تفرّد في الأزال بنعت العظمة والجلال قبل الكون والمكان والدهور والازمان والحين والاوان فالمكان جواهر واجسام خلقها والدّهور اوقات وازمان قدّرها كل ذلك موسوم بالحدث عرفنا المكان والزمان بتعريفه ايّانا وان شاء كوّننا ولم نعرف زمانا ولا مكانا وكوّننا في المكان ولو شاء كوّننا ولا مكان فعلّمنا بانّنا لا نكون الاّ في مكان من قضايا عقولنا وهذه القضايا هيّأها لنا نعقل بها المعقول ونعلم بها المعلوم ولو شاء هيّأ لنا غير هيأتنا فعوالم قدرته غير محصورة وغرايب مشيّته غير منكورة وما نحن فيه من العالم بما نحن عليه من العقل والعلم عالم من عوالمه ولا تستبعدْ قولي لو شاء كوّننا في غير مكان فقد كوّن المكان لا في مكان اذ لو كان في مكان لتسلسل فلا تحصُرِ القدرةَ بعقلك اذ العقل قوّته ان يحصر الحكمة واما القدرة فلا يحصرها حاصر فحدّث عن البحر ولا حرَجَ ومن هذا الاساس تمشّت وتبيّنت الامور الاخروية وعلمها من علمها وانكرها من عجز عقلُه عن ادراكها فمن يكون المكان بما فيه من المكوّنات والزمان والمقدّر فيه عالماً من عوالمه ويسيرا من عظيم قدرته كيف يحصره الزمان والمكان فما اظهر من عالم الملك والشهادة عالم الحكمة والعقل الموهوب لنا الذي يتصرّف به موكول بهذا العالم وهذا العالم من العرش الى الثرى مع العقل الذي فهمه وعقله وعلمه وقسمه اجساماً واعراضاً

عالم من عوالمه فصوّر العالم وكل ما حواه وهو العالم الذى عقله العقلاء بما فيه من الارض والسماء والماء والنار والهواء والعرش والكرسيّ والجنّ والانس والافلاك والاملاك والالوان والاكوان والاجرام والاصطكاك والشمس والقمر والنجوم الى اعماق اطباق التخوم بالنسبة الى العظمة الالهية اقلّ واحقر من خردلة بالنسبة الى جميع العالم ففرّغ بالك عند ذلك من قياساك انه سبحانه داخل العالم او خارج العالم فما احقرك واحقر علمك فلو فتحت عين بصيرتك استحييت من قياسك وفكرك ووهمك وخيالك ايها المحدود والمحصور لا ينتج فكرك الاّ محدودًا محصورًا وايّها المحيط به الجهات لا يحكم عقلك الاّ بالجهات فالجهات من جملة العالم وقد علمت نسبته الى عظمة الله تع فتبارك احسن الخالقين

« الفصل الثالث فى صفات الله تع الذاتية »

لله تعالى الاسماء الحسنى والصفات العلى لا نسمّيه الا بما سمّى نفسه ولا نصفه الاّ بما وصف قدسه فكلّ اسم من الاسماء ينبئ عن صفة من الصفات وله بكلّ صفة من صفاته اثر من آثار ربوبيّته فى خلقه وهو مطالب بعبوديّة ملايمة لتلك الصفات وهذه الصفات التى اذكرها ذاتية من لوازم كمال الذات المقدس وما ابرزها الاّ لنعلمها وما ذكرها الا لنفهمها ولولا ما اخبر وانزل وفهّم وعلم لعظم شان الله ان يتفوّه بها لسان او يعرب عنها بيان ومنها (الحيوة) قال الله تبارك وتعالى هو الحى لا اله الاّ هو حياته سرمديّة فى الازال والاباد جلّت عن مدد العناصر او معونة من الباطن والظاهر لانّه صمد لا يتطرّق اليه التأثير قيّوم لا يعتريه الزيادة والنقصان والتغيّر فالزيادة لقصور عن الغاية والنقصان لتخلّف عن النهاية وهو خالق الغايات والنهايات ومنها (القدرة) قادر جميع الكائنات معدوداته لا يعجزه شيء ولا تتكوّن دون قدرته شيء قادر ان يعدم الكون باسره وقادر ان يبدع غير كمثله اخذ بناصية كلّ ما فى ارضه وسمائه وبرّه وبحره المقدورات قائمة بقدرته مسخّرة فى قبضته اوجدها بكُنْ فكانت ولو شاء اعدمها فتلاشتْ وتوانتْ ومنها (العلم) عالم احاط بجميع المعلومات بعلم واحد قديم ازلىّ لا يغرب عن علمه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض يحصى اعدّاد الرّمال وذرّات الجبال علم ما كان قبل كونه ويعلم ما يكون فانّه سبحانه مستقلّ بعلم الكون مطلقاً اولًا آخرًا ظاهرًا وباطناً عالم بالجزئيات كما هو عالم بالكليات فنال العلم الازلىّ الواسع واحاطته بالجزئيات والكليّات

انك لو احذت كفّاً من الخردل وتركته فى وعاء ضيّق عجزت عن احصائه لتزاحم وضيق وعائه وقصور ادراكك فان انت بسطته حتى تتردّد الحبّات فما قلّ من ذلك تدركه وتحصيه وما كثر لا تحصيه لنقصان شعاع بصرك المنبعث من حدقتك فلو كرّ الشعاع لادركت الكثير كما ادركت القليل ولو كرّ الوعاء لاحصيت الجميع فالمعلومات حزئيتها فى علم الله سبحانه فى اواسع بسيط اذ علم الله سبحانه اخرج المعلومات من مضيق الخفاء واحصاها جميعاً بعلم واحد احصاءً واحداً ما كان وما يكون فهو سبحانه عالم على الاطلاق وسائر المعلومات هو واهبها وخالقها فسمّى نفسه بذلك فسمّيناه بما سمى به نفسه حيث قال عالم الغيب والشهادة ويعلم السرّ واخفى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ويعلم خطرات الضمير وتحصى ذرّات الهباء فى لواء الهجير ومنها (الارادة) مريد على الاطلاق لا ارادة لاحد من الخلق من الجن والانس والملائكة والشياطين الاّ ومنشئها ومريد مرادها ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يجرى فى ملكه من كفر وايمان وطاعة وعصيان وعطاء وحرمان وعمد وخطاء ونسيان الاّ بمشيته عدل فى جميع اقضيته ومراداته غير موصوف بالظلم فى بريّته ومصنوعاته لا رادّ لامره ولا مانع لقضائه وان يمسك الله بضرّ فلا كاشف له الاّ هو وان يردك بخير فلا رادّ لفضله وصف نفسه بالارادة فوصفناه بما وصف به نفسه فقال انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقال اذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها وقال فاراد ربّك ان يبلغا اشدّهما ومنها (السمع) سميع يسمع النداء ويجيب الدّعاء ويسمع نداء الضمير من غير تعبير باللّسان وتفسيره لا يشغله سمعٌ عن سمعٍ ولا يشتبه عليه الاصوات ولا يغلّطه المسائل ولا يختلف عليه اللّغات يسمع حفيف الطيور ونداء الدّيدان فى بطن الصخور ودويّ الحيتان فى قعر البحور جلّ جلاله ومنها (البصر) بصير يبصر دبيب النملة السّوداء فى حنادس الديجور ويرى فى ليلة الظلماء تقلّبات الهوام وهى تمور وصف نفسه بالسّمع والبصر فقال ليس كمثله شىء وهو السّميع البصير (ومنها الكلام) متكلم بكلام قديم عجز عن مثله الفصحاء وقصر دون الاتيان بآية منه البلغاء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

« الفصل الرابع فى قدرة الله تع وخلق افعال العباد »

ليس لاحد من الخلق قدرةٌ الاّ بما اقدره الله تع فالله خالق القادر وخالق قدرته فقدرة القادر وفعل الفاعل كتأثير الشمس بالحرارة والشمس خلق الله تع وتأثيرها فى الاشياء ايضا خلق الله تع لان المؤثّر اذا كان خلقا يكون الاثر

خلقا واذا كان الفاعل خلقا يكون الفعل خلقا فان ظنّ الظانّ ان الفاعل ذو ارادة بخلاف الشمس يقال تلك الارادة ايضا اثر من المريد والمريد خلق فيكون ارادته خلقا فاذا اسند الارادة الى العلم فنقول العلم اثر ووصف للعالم فاذا كان الموصوف خلقا يكون الوصف ايضا خلقا فان قلت اذا كان الله خالق الفعل فكيف يعاقب على فعل خلقه فنقول كما يعاقب خلقا خلقه فليس عقوبته على ما خلق بابعد من عقوبته من خلق يتفعّل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون ثمّ نقول له ايضا اعلم بان الله تع خلق الكافر وكفره والفاسق وفسقه ثمّ امر الكافر بالايمان ولم يخلق له ايماناً فامره بالايمان فهو محضٌ وعدم خلق ايمانه قهر محضٌ وادخاله النار حيث خلق له الكفر بسبب الكفر قهر محض لانّه قهّار وصفة القهر اقتضت ذلك وخلق المؤمن وخلق له ايمانا وخلق الطائع وخلق له طاعةً ولم يكن المؤمن والطائع في ذلك منه واضاف الفعل اليه تكرّما محضاً ولم يكن طاعته الاّ خلق الله واسكنه الجنة بمحض الرحمة والفضل لانه الرّحمن الرحيم الغفور الودود الا ترى كيف جعل الآدميّ ذا مال فقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فالمال والمموّل ملكه وملكه فقياسك ان هذا كيف وليم وانّ ظلم يكون لضيق دعائك وقصور فهمك اذ لم ينكشف لك سرّ ذلك تقيس امره على الخلق جلّ امره عن القياس وعظم عن ان يحيط بحقيقته افهام الناس وما اشتبه على الخلق من سرّ القدر فمُنع الخلق عن الخوض فيه لموضع اشكاله وقد يكشف للعلماء الراسخين باطّلاع الله تع اياهم على ذلك منحة منه سبحانه ثمّ اعلم انّه لا يكون منك فعل الاّ بحركة جارحتك وجارحتك لا يتحرّك الاّ بارادة تنشأ من القلب ولولا ارادة القلب ما تحرّكت الجارحة حركة مخصوصة في محلّ مخصوص وامر مخصوص ولكانت الجارحة كالجماد فما خيار الفعل فعلاً الاّ بارادة القلب والقلب اميرٌ الجوارح فجارحتك جماد لولا قلبك ونسبة قلبك الى الله تع كنسبة جارحتك الى قلبك فلولا احداث الارادة في القلب وخلق الله اياها لكان القلب ايضا جماداً فصارت الجارحة ذا فعل بالقلب وصار القلب ذا ارادة بالله فالله سبحانه خلق الارادة في القلب واحدثها فتكوّن الفعل بارادة القلب بالله فتكوّن الفعل اذن بالله تع فان قلت كيف يضاف الى ضمان المتلفات واروش الجنايات ويقام في الحدود فنقول يكون الفعل من الله خلقاً ومنك كسباً لان الله سبحانه خلق عالم الفكرة ودبّره بالاسباب والوسائط والآلات والادوات وخلق كلّ شيء واضاف كلّ شيء الى شيء والكل منه وبه فلا تجعل للشيء وجوداً على الاستقلال والاستبداد ولا تكن قاصر النّظر

فاىّ فعل لك واىّ وجود لك الاّ ما وهب لك واهب الوجود سبحانه ولا تعلم غير هذا حتى لا تكون ما تقوله وتوهّمه اشتراكاً فى الربوبيّة والله يتولى الصالحين .

« الفصل الخامس فى كلام الله تع وما خاض الناس فيه من القول »

اعلم ان كلام تع عظيم اذ عظمة الكلام على قدر عظمة المتكلم وكلام الله سبحانه عظم بعظمته وجلّ بجلاله وكبر بكبريائه وقرب وذنى بوعده ووعيده وحدوده واحكامه وابنائه وبعد ونأى بكنهه وغايته وعظم شانه وقهر سلطانه وسطوع نوره وضيائه فهو عالى الرتبة عظيم المنزلة ناهيك لعظم شانه قول الله تع (قل لئن اجتمعت الانس والجن علىّ ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) فمثاله من عالم الشهادة الشمس الذى ينتفع الخلق بشعاعها وريحها ولا قدرة لاحد ان يقرب من جرمها ان لم وجد الى ذلك سبيلا فمن قائل بان لا حرف ولا صوت لما عظم عليه ان يحضر ومن قائل انه حرف وصوت لما عزّ عليه ان يغيب ولكل وجهة هو موليها فالقائل الاوّل نفر لما رأى من مزج الحدث بالحروف والاصوات فقال لا حرف ولا صوت صيانة للقديم عن مزج الحدث والقائل الثانى رأى اشعّة العظمة القديمة تحرق اجرام الاصوات واللغات فقال هو صوت وحرف شعر رقّ الزجاج ورقّت الخمر. فتشابها وتشاكل الامر . فكأنها خمر ولا قدح . وكأنها قدح ولا خمر . فالسبيل الامثل والطريق الاعدل ايّها الاخوان من الطائفتين ان تركوا المنازعة فى حمل كل واحد من الطائفتين ان يخوض فيما خاض فيه ويتعرّض لما تعرض له الاّ ما بلى به من تعلّق الشبه ببواطن اهل الزمان فاحوجه الوقت ان يشرع فيما لم يشرع فيه اصحاب رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم من الاهواء المختلفة والاّ فلا يخفى على العاقل ان العبد اذا قال القرآن كلام الله واعتقد انّه يجب اتّباع امره ونهيه والالتزام باحكامه وحلاله وحرامه واستماع وعده ووعيده والقيام بحقوقه وحدوده ولا يتعرض بعد ذلك شيئا ولا يفوته ممّا وجب عليه شيء ممّا تصوّره من المسئلة انه ان لم يقل كذا يلزمه منه كذا فلعلّه يعيش مأة سنة ولا يخطر بباله شيء ممّا تصوّره فدعه يمضى لسبيله فهذا الطريق القديم والمنهج المستقيم والاّ فمتى تعرّضت للقدم تعرّض الخصم للحدث وانت تكفّره وهو يكفّرك وما ارى التكفير الاّ قولاً من غير فعل بمقتضاه فالذى نكفّره اراك تخالطه وتمازجه وتوادّه وتزوّجه وكفاك عاراً ان فعلك يكذّب قولك فلا اراك تزيد خصمك بقولك الاّ اغراءً وعصبيّة وغيضا فاعمل فى تلاوة كتاب الله عزّ وجلّ آناء ليلك واطراف نهارك وتدبّره

في صلوة وغير صلوتك فانه كتاب الله اليك وحجة عليك فلمارعة في ذلك كمن يأتيهم كتاب من سلطان يأمرهم فيه وينهاهم وهم يتشاجرون في ان الكتاب كيف خطّه وكيف عبارته وايّ شيء فيه من صفة الفصاحة والبلاغة ويذهلون عن صرف اهمّ الى الانتداب لما ندبوا اليه والله بفضله يلهم الصواب .

« الفصل السادس في الايات والاخبار الواردة في الصفات »

اخبر الحق سبحانه وتعالى انّه استوى فقال الرحمن على العرش استوى واخبر رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم بالنزول وغير ذلك كما جاء في اليد والقدم والتعجب والتردد وكلّ ما ورد من هذا القبيل دلائل التوحيد فلا يتصرّف فيها بتشبيه وتعطيل فلولا اخبار الله تع واخبار رسول الله ما تجاسر عقل ان يحوم حول ذلك الحمى وتلاشى دون ذلك عقل العقلاء ولبّ الاوياء فالله تع دنا من عباده بما اخبر ودلّ على نفسه بما اظهر ورفع حجابا من الحجب عن وجه الكبرياء وكشف شيئا من سبحات العظمة والعلاء فكل اخبار الصفات تجليات الهية وكشوف والطاف خفية عقل من عقل وجهل من جهل فلا تبعد عن الله تع بالتشبيه وقد قرب منك ولا تتربّ منه بالتعطيل وقد دنا اليك اطلق الاستواء وعن الكيفية وهكذا سائر الصفات فهو سبحانه بما تجلّى لعباده بهذه الاخبار ظاهر وبما قصرت العقول عن ادراك كنهها وكيفيتها باطن فلا تستكشف من عظم شانه ما بطن ولا تستشف من علوّ سلطانه ما اكتمن واياك ايّها الراغب في الدنيا الغالب عليه محبّة الجاه والعلوّ والرفعة بين الناس ان تتصرّف فيها بعلمك فانّها اسرار وان كانت اخبارا وانت مريض فداو اولا مزاج قلبك عن مرض الميل الى الدنيا الفانية حتى يستقيم مزاج عقلك ثم اعلم انّ المتصرفين في ذلك من الطوائف مأجورون من حيث انّهم قصدوا التوحيد وموّاخذون من حيث عدولهم عن المنهج القويم والاخلاد الى التشبيه والتعطيل فانظر ايّها المنصف ودع الهوى والعصبيّة وراجع فكرك من غير فظاظة وغلظة واتق الله في نفسك ودينك فان الله عند كلمة كل قائل واعلم ايّها الاخ الحنبليّ ان اخاك الاشعري ما ذهب الى التأويل الاّ لما توهّم من (+) البواطن من التشبيه والتمثيل ولو سلّم له مجرّد الاستواء ما اوّل وايّ حاجة كان له الى ذلك لولا خوف التشبيه وايّها الاخ الاشعري ان اخاك الحنبليّ خوفا من النفي والتعطيل حمله على المبالغة والاصرار ومخامرة خفيّة من الاستقرار فليصالح احد كما الاخر سنريح الحنبليّ عن باطنه المخامرة الخفيّة وسنريح الاشعريّ خوف التشبيه ولا يخلد الى التأويل فالاعتراف بمجرّد الاستواء لا يضره وليقولا جميعا اثباتاً من غير تشبيه ونفياً

من غير تعطيل آمنّا بما قال الله تبارك وتعالى على ما اراد الله ويليق بالله وامنّا بما قال رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم على ما اراد رسول الله فعلمُ ذلك الاسرار موكول الى الله تع ورسوله وما حسنُ قول القائل الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة فالاستواء لا يفوته تمّ اريد ايضاحا وتوطئة للصلح والله يعلم ان القصد فيه صالح ومن اتمّ العبادات اجرًا اصلاح ذات البين ويدعوا الى هذا الفنّ من الاصلاح ما نقل من طائفة من السلف التصريح بالاستقرار فى تفسير الاستواء . اعلم ان البواطن فى زمن رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم وفى غير زمانه لم تكن على صفة واحدة من حيث غرائزها وجبلاتها بل بعضها كان اقوى من بعض واتم فهماً وعلمًا واكمل استعدادًا ولاختلاف الاستعداد تنوّعت مراتب الدّعوة قال الله تبارك وتعالى (ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن) فلسان الحكمة جعل رتبةً فى الدعوة لبواطن قابلة لذلك صالحة له ولسان المواعظة لبواطن آخر صالحة لذلك والمجادلة لآخرين فكان رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم يكلّم الناس على قدر عقولهم وبنور باطنه الصافى يشرف على البواطن ويودع فى كلّ وعاء ما يصلح له فلا تظنّ ان رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم حيث اطلق القول فى النزول ونزلت عليه آية الاستواء كان عند الكلّ من المستمعين فهم ذلك على السواء بل تفاوتوا فى الفهم على حسب تفاوتهم فى كل زمان والنبىّ صلى الله تع عليه وسلّم اطّلع على تنوّع فهوم البواطن وقدّر كل ذى عقل على عقله وكلّ ذى فهم على فهمه وحيث اشارت الحرسآء الى السّماء اكتفى رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم ايماناً وتوحيدًا غير انّ بواطن جميعاً كانت فى ظلّ فناء العصمة غشيها وقار النبوّة وابّهة الرسالة فلم يظهر بينهم نزاع ولا اشتهر خلاف وبقيت النفوس راكدةً راقدةً على استعجاله وطيشها وسرعة نفورها وكلّما تمادى الوقت وتوارت اشعّة شمس العصمة النبوة وبَعُدَ عهد الرسالة ربّ الخلاف والاختلاف فى الامّة الى ان تفاحش وكثف وأفضى الامر الى التكفير والسبّ ووثبت النفوس وثوب الثعبان وظفر بتكدير صفو العقائد الشيطان فاذا علمت هذا السر فاعلم ان الغرائز على اختلافها وتنوّعها لاتفق البواطن على صفاء الفهم ولا يهتدى بامرها الحق الصّرف ولا يزالون مختلفين الاّ من رحم ربّك ولذلك خلقهم ولكنّ انظر الى المقاصد اذ كلّ منهم يتحرّى ويجتهد فى اصابة الثواب فمن رأيته تحت عصمة الاسلام ملتزماً بالاحكام معترفاً بالحلال والحرام متوجها الى بيت الحرام اعتقد انه اخوك المسلم ثمّ اعلم ان كثيرًا من اهل العلم قد يظهر له صحة قول الخصم ولكن لما

يرى الاتباع من العوام ملتزمين بعقيدته يكره ان يظهر ما يضمره كيلا يكسد سوقه عندهم فانظر الى هذه الفتنة او يصير العالم تبعاً للعامي وكان الاجدر ان يكون الامر بعكس ذلك والله المستعان .

« الفصل السابع فى رؤية الله تبارك وتعالى »

صح فى الخبر عن رسول الله صلى الله تع عليه وسلم انه قال ان لله تع سبعة وسبعين حجابا من نور لو كشف واحداً منها لما لاحرقت سبحات وجهه من ادركته رؤية العيان متعذرة فى هذه الدار لانها دار الفناء وان الآخرة هى دار القرار فهذا الحديث مشترك الدلالة دليل لمن انكر الرؤية من حيث اخبر انه لو كشف احرق ودليل لمن اثبت الرؤية حيث جعل الكشف معدوماً بالاحراق والافناء والاهلاك فيكون ذلك اذا وردت الرؤية على محل قابل للفناء والاهلاك والعبد اذا تبرأ دار القرار والبس خلع البقاء والاستقرار وصار يقوم فى بحر الانوار وقعد فى مقعد الصدق وخلع الوصاف ينطلق من وثاق الفناء والزوال فتكشف حينئذ الحجب ويتجلى السبحات فتصادف محلاً آمن الاحتراق والآفات وصارت الصفات على غير طبيعة هذه الصفات وكلما اترعت له كؤس التجلى استغاث بهلم وهات فسبحانه وتعالى تراه القلوب فى الدنيا بنظر الايمان كما تراه الابصار فى الاخرى بنظر الاعيان وصح الخبر انكم لترون ربكم يوم القيمة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته شبه النظر بالنظر لا المنظور بالمنظور فللقوم من العلماء نصيب من علم اليقين فى الدنيا ولاخرين اعلى منهم رتبة نصيب من عين اليقين كما قال قائلهم رأى قلبي ربى وكما قال حارثه اصبحت مؤمنا حقا حيث كشف له رتبة فى الايمان غير رتبتها التى علمها ولهذه المطالعة كان يقول معاذ تعالوا حتى نؤمن ساعة وهذا يدل على تفاوت الايمان وزيادته ونقصانه وهو مذهب بعض العلماء ومذهب البعض انه لا يزيد ولا ينقص وكل قائل فلقوله وجه ومخرج فقد يصير لجمع من العلماء المتقين الزاهدين عين اليقين بحيث يناهز ايمانهم المحسوس كما قال قائلهم لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا يصير الغيب عندهم كالعين ويزدادون فى القيمة رتبة فى الرؤية غير ما وصلوا اليها فى الدنيا فايها الاخ المنكر الرؤية ليس الامر على ما بلغه فهمك لانك ما فهمت الرؤية الا بواسطة الاشعة المنبعثة من الحدقة وشرطه اعتدال المسافة والهواء الشفاف وهذا الفهم الذى فهمته عالم الشهادة والملك والعين والحدقة يوم القيمة لا تبقيان على هذه الطبيعة المفهومة فى الدنيا وتنخرق القدرة الى الحكمة والحكمة الى القدرة والقلب الى العين والعين

القلب ويكون اخواء غير ما علمت والشعاع غير ما فهمته والاسوان والالوان غير مألوفاتك ومعهودك وتبدّل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فانّها المحصور فى عالم الملك والشهادة ابرز الى الملكوت والغيب واصعدهُ من مستقر الجهات والادوات والآلات وقل آمنت بالله يراه المؤمنون والكفّار عنه محجوبون كما اخبر به التنزيل وقام على صحته واضح البرهان والدّليل وهذا الفن علم مستقل بنفسه وله علماء موجودون فى الدنيا فاطلبهم واصحبهم حتّى تشملك بركتهم وينفتح بصيرتك فتعلم ان القدرة كيف تخرق الى الحكمة وكلّ هذا الذى تسمعه وتشاهده ولا تحجّ الى قوله تع لا تدركه الابصار فليس ذلك دليلا على نفس الرؤية واعلم ان العين فى الآخرة بمنزلة القلب فى الدنيا والقلب يعلم ويرى ولكن لا يدرك بالادراك غير سبحانه مرئىّ الكتب معلومه غير مدرَك فهكذا فى القيمة مرئىّ العين غير مدرك به وحسّ امره عن الادراك اذ الادراكُ يرد بالاشتراك وغير سبحانه وتعالى وحده لا شريك له ولا شبيه ولا نظير ثم اعلم ان الرؤية لو كانت كما فهمت بواسطة الاشعّة والحدقة لا تحدّت وما تفاوتت واختلفت وليس الامر كذلك بل الخلق متفاوتون فى الرؤية على قدر تفاوتهم فى رتبة العبودية ومنازل القرب فللانبياء فى الرؤية رتبةٌ وللاولياء رتبةٌ ولعوام المؤمنين رتبةٌ ولولا تجنّب الواقع من القياس فى هذا الفن والتلقّى من التوقيف امكن ان يقال يراه المؤمنون يوم القيمة كما يراه الاولياء فى الدنيا ولكن يكون الرؤية بالاشتراك البصر والبصيرة وبصيران بطبع واحد وصنعة واحدة ويراه الاولياء فى الآخرة كما يراه الانبياء فى الدنيا ويتفاوتون على هذا النّهج فى رتبتهم فى النبوة والرسالة ويراه خواص الانبياء كما رأه نبيّنا ليلة المعراج ويزداد النبى صلى الله تع عليه وسلّم رتبة فى الرؤية ويوشك ان يكون تلك الرتبة هى مقام المحمود الذى وحده لا يشاركه فيه غيره فلا ينحصر فى مضيق فهمك وعلمك جلّ الملك القدّوس عمّا تكيّفه النفوس .

« الفصل الثامن فى شهادة ان محمّدًا رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم »

أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون ايّده بالمعجزات الظاهرة والبراهين الباهرة انشقّ له القمر وسلّم عليه الحجر وبايعه امّ من الجنّ المتمرّدين وانقهر لرسالته عتاة الشياطين وكلّمه الذّراع المسمومُ وانهلّتْ بدعوته غزالى الغيوم وكلّمه البعير وطاب بريقه البئير ونبع الماء من بين اصابعه انفجارا ونزلت لنصرته الملائكة جهارًا الى غير ذلك من المعجزات والآيات التى لا تنحصر ومن اكبر المعجزات سور القرآن ولكن

لا ينكشف وجه الإعجاز فيه الا لريّان من الايمان والعرفان جعل قلبه مَوْرِدَ الاحكام ولسانه مصدر الاحكام ولا تنطق عن الهوى ولا يأمر الا بالتقى نسخ بدينه سائر الملل والاديان وازال الكتابُ المنزل عليه حكم سائر الكتب المنزلة فى سائر الازمان ونؤمن بجميع الانبياء والرسل والملائكة ونعتقد ان السموات مشحونة بهم وان منهم من ينزل الى الارض ومنهم الكروبيّون والروحانيّون وان منهم حملة العرش والكرام الكاتبون الموكّلون ببنى آدم ومنهم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل قابض الارواح ومنهم حزنة الجنان وزبانية النيران ومالك ورضوان كلّ ذلك نؤمن به ونؤمن بحقيقته وبعد هذا الايمان نعتقد انّ نبينا خاتم الانبياء وان النبوة أغلق بابها وأسبل حجابها فلا نبوة بعد نبوّة محمّد صلى الله تع عليه وسلّم ويجب على الخلق كلّهم من سائر الاديان والملل طاعته والانقياد له فيما اتى به وترك ما كان عليه من قبل وكلّ الطريق غير متابعته مسدودة وكلّ الدّعوات غير دعوة رسالته مردودة ونعتقد ان للاولياء من امّته كرامات واجابات وهكذا كان فى زمان كلّ رسول كانت لهم اتباعاً ظهرت لهم كرامات ومخرقات للعادات وكرامات الاولياء من تتمة معجزات الانبياء ومن ظهرت له وعلى يديه اشياء من المخرقات وهو على غير الالتزام باحكام الشريعة نعتقد انه زنديق وان الذى ظهر منه مكرٌ واستدراجٌ وقد يكون للاولياء انواع من الكرامات كسماع الهواتف من الهواء والنداء من بواطنهم ويطوى لهم الارض وقد يقلب لهم الاعيان وقد ينكشف لهم ما فى الضمير ويعلمون بعض الحوادث قبل تكوّنها كلّ ذلك ببركة متابعتهم لرسول الله صلى تع عليه وسلّم فاوفر الناس حظّا من الصحّة والقرب العبودية اوفرهم حظّا من متابعة رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم قال الله تبارك وتعالى قل ان كنتم تحبّون الله فاتبعونى يحببكم الله وقال الله تع ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وليس ما يكشف من الكرامات آية الصحة واذا لم يكن شيء من ذلك ينعدم الصحة بل قد يكون من لم يكشف له افضل ممن يكشف له وهذه غريبة وسرّ ذلك ان الذى يكاشف بشيء من القدرة وخرق العادات انّما يكاشف له لموضع ضعف يقينه حتى يقوى ايمانه رحمة من الله لعباده وثوابا معجّلا لهم وقوم من هؤلاء رفعت الحجب عن قلوبهم وباشر بواطنهم روح اليقين فى صرف المعرفة فلا حاجة لهم الى مدد المخرقات ورؤية القدر والآيات ولهذا المعنى ما نقل عن اصحاب رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم من ذلك القليل ونقل عن المتأخرين من المشايخ والصادقين اكثر من ذلك لان اصحاب رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم ببركة صحبة النبيّ م ومجاورة نزول الوحى وتردّد

الملائكة وهبوطها تنوّرت بواطنهم وعاينوا الآخرة وزهدوا فى الدنيا وتزكّت نفوسهم واحلمّت عادتهم وانصقلتْ مرآى قلوبهم فاستعدوا لما أعطوا من رؤية الكرامة استلماع آثار القدرة ومن بلغ من قدرة اليقين هذا المبلغ يرى فى اجزاء عالم الحكمة ما يرى العين من القدرة ويرى القدرة كامنة بل متجلّية من حجف الحكمة فلو تجرّدت له القدرة وانكشف له استغرب القدرة يقوى يقينه بها لانه محجوب بالحكمة عن القدرة واعتقد ان الرؤيا الصالحة جزء واحد واربعون جزأ من النبوة والاولياء وصالحوا المؤمنين ينكشف لهم فى مناماتهم لوايح ولوامع من الملكوت ولو اعتبرت امر المنام عجبا فهو من ايات الله الظاهرة وقدرته الباهرة فقد ينكشف فى المنام ما يتكوّن بعد سنة وشهر فالشيء المعدوم الذى بعدما وجد اطّلعك الحق سبحانه عليه قبل ايجاده ليدلّ ذلك على انّ لك خالقاً وانّهُ هو علاّم الغيوب وقد علمت قصة ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وقول الله لنبيّه اذ يريكم الله فى منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فعليك بحسن الاقتداء وقد ظفرتَ بكمال الاهتداء والله الموفق والمعين .

« الفصل التاسع فى ذكر اصحاب رسول الله صلى الله تع عليه وسلم واهل بيته »

اعلم انّ ميراث النبوّة العلمُ وقد توارثه اصحابه واهل بيته وقد وجب عليك محبة الجميع فلا تكن مائلا الى احدى الجهتين دون الاخرى فانّ ذلك هوًى ولا تنزع منك هذا الميل حتّى ينازل باطنك شيء من محبة الله تع الخاصّة فحينئذ تبرأ من الهوى ويكون عندك شغل شاغل بما اعطيتَ فتنظر بصفاء بصيرتك فينكشف لك محاسنهم ويتغطّى ما تنكره من احد منهم فالاشتغال بالعصبيّة والخوض فى امورهم شغل البطّالين وقد استروح قوم الى البطالة وتجرؤا على المخالفات وارتكاب المناهى واتخذوا ما زعموهُ محبّة جنّة لهم وحدّثهم نفوسهم ان ذلك ينفعهم كلاّ حتى يستقموا على الجادة المستقمة فلا ينفع محبتهم بغير التقوى والصلوة اذا فاتت والاوقات اذا ضاعتْ والذنوب اذا ارتكبت والمحارم اذا استبيحت انّى يجيرها دعوى محبتهم فيجب ان تحبّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم وهل يسع قلبَ مؤمن الاّ ذلك وقد سمع قول رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم فاطمة بضْعَةٌ منّى ثم ما بلغك من زهدها فى الدنيا وعلمها وتجرّعها مرارات الفقر والقلّة وحسن صبرها واحتسابها يوجب محبة القلب ولو لم يكن نسبة رسول الله ونسبة رسول الله توجب المحبة ولو لم تكن تلك الصفات الظاهرة فكيف اذا اجتمع ذلك كلّه والحسن والحسين رضى الله تع عنهما اولادها واولادهم اولادها فالكلّ اولاد رسول الله صلى الله تع عليه

وسلّم فمن في قلبه حبّ رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم لا بدّ له من حبّ اولاد رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم واما اصحابه فابو بكر رضى الله تع عنه وفضائله لا تنحصر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تع عليهم اجمعين وكذلك تنسب عليّا رضى الله تع عنه الى النبى صلى الله تع عليه وسلّم بالصحبة اكمل فى وصفه من نسبة القرابة وانكل عال لان القرابة نسبة صورة ونسبة الصحبة نسبة معنى فكيف يسع قلب المؤمن ان يقدح فى اصحاب رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم وهم مع رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم كجسد واحد بذلوا الاموال والارواح وهجروا الاوطان وقاطعوا الاتراب والاقران فى محبّته وممّا ظفر الشيطان به من هذه الامّة وخامر اعتقائد منه دنس وصار فى الضمائر حبث ما صهر من المشاجرة بينهم فاورث ذلك احقادا وضغائن فى النواطن ثم استحكمت ذلك الضغائن وتوارثها الناس فكثفت وتحسدت وجدبت الى اهواء استحكمت اصولها وتشعّبت فروعها فاينّا المبرأ من الهوى والعصبيّة اعلم ان اصحاب رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم مع نزاهة بواطنهم وطهارة قلوبهم كانوا بشرا وكانت لهم نفوس وللنفوس صفات تظهر فقد كانت نفوسهم تظهر بصفة وقلوبهم منكرة لذلك فيرجعون الى حكم قلوبهم وينكرون ما كان من نفوسهم فانتقل اليسير من اثار نفوسهم الى ارباب نفوس عدموا القلب ادركوا قضايا قلوبهم وصارت صفات نفوسهم مدركة عندهم للجنسيّة النفسيّة فبنوا تصرف النفوس على الظاهر المفهوم عندهم ووقعوا فى بدع وشبه اوردتهم كلّ مورد ردىّ وجرّ عنهم كل مشرب نبىّ واستعجم عليهم صفاء قلوبهم ورجوع كلّ واحد منهم الى الانصاف ولو اعانه لما يجب من الاعتراف وكان عندهم اليسير من صفات نفوسهم لانّ نفوسهم كانت محفوفة بانوار القلوب فلمّا توارث ذلك ارباب النفوس المسلّطة الامّارة بالسوء القاهرة القلوب المحرومة انوارها احدث عندهم العداوة والبغضاء فان قبلت النصح فامسك عن التصرّف فى امرهم واجعل محبّتك للكل على السواء من غير ان ترجّح محبّة احدهم على الآخر وامسك عن التفضيل والعلوّ فامرهم اكبر من ان تخوض فيه وان خامر باطنك فضل احدهم على الآخر فاجعل ذلك عن جملة اسرارك فلا يلزمك اظهاره ولا يلزم ان تحبّ احدهم اكثر من الآخر بل يلزمك محبّة الجميع والاعتراف بفضل الجميع ويكفيك فى العقيدة السليمة ان تعتقد صحّة خلافة ابى بكر وخلافة عمر وعثمان وعلى رضوان الله تع عليهم اجمعين ثم تعلم ان عليّا ومعاوية كانا على القتال والخصام وكانت طائفتان يسبّ بعضهم بعضا وما حكم احد بكفر الآخرين وانّما كانت ذنوبا لهم فلا تكفّر احدا بما ترى

منه من الجهل والسنّ واعتقد ان امير المؤمنين عليًّا رضى الله تع عنه اجتهد فى الخلافة واصاب فى الاجتهاد وكان احقّ الناس بالخلافة اذ ذاك وان معاوية اجتهد فى ذلك واخطأ فى الاجتهاد ولم يكن مستحقًّا لها مع علىّ رضى الله تع عنه والله ينفعنا بمحبتهم ويحشرنا فى زمرتهم .

« الفصل العاشر فى ذكر الموت وما بعده من الامور الاخروية وذكر الساعة »

نعتقد ان الميّت بعد الموت يسمع ما يقال عنده ويقال له كما كان فى حال حياته ويتأثّر بالعنف واللطف من الغاسل ممّن يباشر جسمه وكأن الحواس التى انعدمت انكمست فيه ولا نشكّ فى أمر الميّت وسماعه وروئيته وقد دلّت الاخبار على ذلك اذا فتّشتَ وحدثَ وقد وجد اهل الله وخاصّته ذلك ذوقًا وعلموه وايقنوه .بما اظهر الحقّ لهم واطّلعهم عليه والملكان منكر ونكير يسألانه وما ورد المسائلة الاّ للمقبور وظاهر الامر انّ المسائلة تكون للحريق والغريق ايضا وممّن اكلتْه السّباع وكيف مات على اختلاف الاحوال فان ذلك ابتلاء من الله تع لعباده وهو جملة منازل الآخرة وهو موافقها ونعتقد ضغطة القبر وانّ القبر روضة من رياض الجنان او حفرة من حفر النيران وانّ الارواح والاجساد تشترك فى النعيم المقيم والعذاب الاليم وانّ القالب بعد ان يصير ترابا ويتّخذ من الخزف ويضرب منه اللبن يشترك مع الروح فى النعيم والعذاب وان الله يجمع بين كل قالب وروحه ليوم العرض والنشور وفى اخذ ابراهيم عليه السلام اربعةً من الطير وقصته كان اظهارًا لهذا السرّ فيكون عقلك لا يكيّف ذلك لما سبق من القول وانك محصور فى معقولك مقيد بعقال عقلك وما مثالك ايّها المحبوس فى قفص اعالم الحكمة الا مثال الجنين فى بطن الامّ لو قال له قائل ان الله خلق السموات والارض والعرش والكرسىّ والشمس والقمر والنجوم ما تكوّن له ذلك ولا اهتدى فانت ايّها المعتقل بعقلك ذلك الجنين ما تشقّقت عنك مسامع عالم الشهادة ولا تنقّعت بيضة وجودك وبعدما ولدتْ فاذا متّ يقال فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فتستيقظ من رقدتك بموتك وترى عالمًا ما رأيته وترى الجنة والنار واعتقد انّهما موجودتان مخلوقتان وكل ما ورد مِنْ عظم امر الجنة حق من الحور والقصور والولدان والغلمان والانهار والاشجار وقس جميع امر الجنة على ما ورد بانّ القائل اذا قال لا اله الاّ الله يعطي بقوله شجرة يسيرة اكبّ فى ظلّها مأة عام فاعلم انّ ذلك حقّ وهنالك اعظم من ذلك ما لا عين رأتْ ولا اذن سمعتْ ولا خطر على قلب بشر وانّما اخبرت ببسير من كثير على قدر وهمك وخيالك وضيق وعائك

لانّك ما دمت فى هذا العالم فرعآء فهمك ضيّق على قدر ضيق هذا العالم والمقيّدون بعقولهم لا يقبلون الشيء الاّ اذا دلّ عليه البرهان وما عداه فهو عندهم تخشّف وهذيان فهم الملاحدة والزنادقة اجهل خلق الله بالله ما لهم فى الآخرة من نصيب ويدلّك على وهن بنيانهم وفساد امرهم اختلافهم فى الآراء ويدلّ على صحة امر الانبياء عليهم السلام اتفاقهم على اصل ما اختلفت واتفق عليها اتباعهم واشياعهم الى يوم القيمة واعتقد انّ الله تع يبحث الخلائق ليوم الحساب ويجمع الخلق فى صعيد ويحاسب على النقير والقطمير ففريق فى الجنة ابد الآباد وفريق فى السعير ضرب بينهم سيّائر (هكذا) الابعاد مخلّدون فى النار واخصّ من قال لا يخلّدون فقوم منهم يذوقون النّار وقوم يمكثون قليلا وآخرون كثيرا على قدر ذنوبهم واهل البدع سبيلهم سبيل اهل الكبائر لا يخلّدون فى النار قال رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم اثبت انّهم من الامّة وقوله عليه السّلام الناجية واحدة والفرق الناجية لا يذوقون النار ولا يدخلونها الاّ تحلّة القسم والباقون يدخلون النار ثمّ يخرجون فلا تعتقد انّ من صام وصلى الى الكعبة وحجّ وزكّى يخلّد فى النار على ما يكون منه من الكبيرة والبدعة ونعتقد ان للانبياء شفاعة يوم القيمة يخرج بشفاعتهم خلقٌ من النار وللاولياء وللمؤمنين شفاعة وجاه عند الله تعالى على قدر رتبتهم ونعتقد انّ الصراط حقّ ادق من الشعر واحدّ من السيف وانّ الميزان حق وله كفتان ولسان وكلّ الذى يخامر سرّك فقد تبيّنت على الطريق الذى اتيتَ به واىّ شيء تنكر من قدرة الله تع ان يوزن فيا ايّها الرجل صاحب العقل الصغير والعلم اليسير عقلك لا يعلم الا الجواهر والاعراض كيف توزن وهى لا تقوم بذواتها وتضحك من القائل لذلك فمن اطّلعه الله تع على الاسرار وعجائب الاقدار يضحك عليك من قصور عقلك ويزرى على ركاكة فهمك فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون فمن علم ذلك العلم واتّخذه اميناً واطّلعه على الامور الاخرويّة وكشف له عالم القدرة يرى انّ المقيّد بعقله كالصبيّ الذى يتحرّك بحركات ويعتقد باعتقادات ويظنّ ظنونا يضحك العاقل البالغ من اعتقاده وصاحب العقل المنكر للامور الاخرويّة عند صاحب هذا الفنّ من العلم والكشف اقلّ عقلا من الصبيّ مع ما يعتقد فى نفسه انّه سبر الارض باسرها ووزنها وعلم حركات الافلاك وتأثيرات الكواكب ووقف من علم الحيثة على اتمّ غاية واكمل نهاية واعتقد فى نفسه هذا ومن سلك مسلكه ان ليس على وجه الارض اعلم منه مع ذلك كلّه هو اجهل خلق الله تعالى حيث جهل الامور الاخرويّة لان تلك العلوم كلّما اكثر منها ازداد جهلاً بالله وبامره فان سبق له من الله الحسنى فهو ينقذه من الضلال فقد انقذ

حقاً خاضوا تلك الغمرات وعاينوا تلك المهلكات فقد رأينا منهم وسمعنا بهم وما ذلك على الله بعزيز . ونعتقد انّ الحوض المورود المخصوص به نبيّنا صلى الله تع عليه وسلّم حقّ ولا نعتقد ان اهل الكبائر لا بدّ لهم من ورود النّار ولا نقطع لهم بذلك بل نجوّز انّ الله تعالى يتجاوز عنهم او اطلع لهم على ما كفّر سيئاتهم ولا نقطع لاحد بالجنّة لما نرى منه من الاعمال الصالحة والطريق الحميدة بل نرجوا له الجنّة ويجوز ان الله سوف يورده النار الاّ من نصّ عليهم التنزيل قال الله سبحانه (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) . ونعتقد انّ عيسى عليه السّلام ينزل وانّ الدجال يخرج والشمس تطلع من مغربها كلّ ذلك حق لا شكّ فيه ونعتقد ان الخلافة في قريش الى يوم القيمة لا يخاريهم عليها غيرهم . ونعتقد وجوب الانقياد لامام الوقت من بني العبّاس وسائر ولاة الامر من قبيله.ونرى قتال من يخرج على الامام . ونعتقد الجمعة والجماعة ووجوب قضاء حقوق المسلمين والاتّفاق معهم على ما اتّفقوا عليه واتعتقد اجماعهم فيه ولا نستبدّ بارائنا دون اجماع المسلمين وكل ذلك بتوفيق الله سبحانه وتعالى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمّد النبيّ الامّي وعلى آله الطاهر واصحابه اجمعين وسلّم تسليما .

كان السهروردي (شهاب الدين ابو حفص عمر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عمّويه السهديني التيمي البكري الشافعي الملقب بشهاب الدين) من ائمة المتصوفين في عصره وكان قد درس على ابي النجيب بالجيل .

ومن مؤلفاته التي نشرت : عوارف المعارف : طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٢٩٤ هـ. على حاشى احياء الغزالي وهو يتعاطى درساً تطبيقياً تصوفياً وتحديدات عديدة لمفردات التصوف . والكتاب الثاني الذي نُشر :كشف الصنائع الايمانية وكشف الفضائل اليزنية . والكتاب الثالث : جذب القلوب الى مواصلة المحبوب. طبع في حلب في مطبعة البهاء سنة ١٣٢٨هـ.

واذا تكلمنا على شهاب الدين هذا فعلينا الاّ نخلط بينه وبين ابي الفتوح يحيى بن حبش بن اميرك الملقب « بالشيخ المقتول » بحلب .

المراجعات :

K. Brockelmann, *GAL*, I, 440/41.
Encyclopédie de l'Islam, IV.
Carra de Vaux : *Les Penseurs de l'Islam*, IV, pp. 199-207.

سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ص ١٠٦٠/١٠٦١
ياقوت : معجم الادباء طبعة بيروت، صادر ١٩٥٧، جزء ٣ – ص ٢٩٠
ابن خلكان : وفيات الاعيان، جزء ٢، ص ٢٦١

الفونيقيون آراميون

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني (†)

لا شك في ان الفينيقيين اجداد اللبنانيين المباشرين ليسوا بكنعانيين . بل هم فينيقيون آراميون سريانيون وندعم قولنا بتسعة ادلّة .

١ً : اسمهم الفنيقيّ . فانه مهما تضاربت الآراء في تخريجه وتأويله فاد أقربها الى الحقيقة ما رجّحه افاضل اللغويين اذ قالوا انه لفظ آراميّ مشتق من فنم ومعناه تقلّب في خفض من العيش وأمعن في الترف والسعة . وهذا الترجيح يشير اليه الكتاب الكريم (قضاة ١٨ : ٧) بقوله ان الرجال الخمسة ساروا الى لايش ورأوا الشعب الذين بها ساكنين مطمئنين وليس من يزعجهم في ارضهم ولا من يتسلّط هناك وكان بعيدين من الصيدونيين وليس لهم بينهم وبين احد علاقة . فقد تعوّد الفينقيون منذ اول امرهم الاخلاد الى الراحة والنزوح الى موادعة جيرانهم ومهادنة عملائهم وما برح هذا الروح النفيّ والشعور انطبب يتنقّل الى ابنائهم واحفادهم حتى اليوم .

٢ً : استنباطهم صُوَر الحروف الابجدية الآرامية الاصلية التي عنهم اخذها اليونان فالعبرانيون فالرومـــان فالفرس وغيرهم من الامم المتمدنة حتى العرب . وقد روت اساطير اليونان والسريان ان قبيلة فنيقية ارامية ارتحلت من اقصى ارض الاراميين الغربية اعني من سواحل البحر الفنيقي وتوغّلت في بلاد يونان وعلى رأسها رجل آراميّ النحلة يقال له قدمو هيما وعلّمتهم صناعة الخط . فاصبحوا يكتبون بالحروف الارامية . واحتذى باليونـــان الرومانيون وغيرهم . ثم جاء العرب فتلقّنوا الخط توًا عن السريان وكتبوا في اول الامر ابجد هوز حطي وابقوا الحروف المقطوعة في السريانية مقطوعة في العربية نحو ا د ذ ر ز و لا . وعلى تمدح العرب وتفاخرهم بلغتهم العربية لم يتمكنوا من استنباط صورة حرف واحد جديد مختص بلغتهم كالضاد مثلاً والظاء فتركوهما بصورتي الصاد والطاء وفقاً لوضعهما السرياني الاصلي .

٣ً . اسماء آلهة الفينقيين القديمة فهي آرامية بحتة او ممحوتة عن الآرامية كقولك : ايل بعل عنرام لبنون عليون تموز فينيق دامور . ملك قرت اشمون شميا الخ .

٤ً : اعلام الملوك الفينقيين في اوطانهم اللبنانية وفي مستعمراتهم البعيدة . من ذلك : ابي شامو احيرام حزيرون ديب عدي ملكيصاف عزبعل ملوك جبيل . ثم عبد ملكوت اشمنعذر عبدولونيم صدقيتين ملوك صيدون . ثم ايت بعل متان ايلولي بعل ملكوت ملوك صور . ثم ححل قار برماكو حيبعل برلحا حنون ملوك قرطاجنة الخ . فهذه الاعلام برمتها اد تمحّلناها وصفّيناها ظهرت وضعيتها السريانية ظهوراً جلياً لا يدع مجالاً للشبهة في صحتها بتة.

٥ً اسماء مدن الفينقيين وقراهم في لبنان خصوصاً فهي ارامية سريانية بحتة نذكر منها : صيدون صور بيروتا جبيل بعلبك . ثم بتدين برمانا بزمار بزينا بسابا بشامون بشري بصفري بعبدا بعقلين بقعتوتا بقرقاشا بكركي بكفيا الخ . ونحو كفربعال كفربيت كفرتعلا كفرحاتا كفرحتنا كفر رمان كفرزينا كفرشوبا كفرشيما كفرفاقود كفرفيلا كفرقوق كفرمشكي الخ. وننبّه ان هذه الاسماء باسرها ما برح الاهالي يلفظونها حتى اليوم باسكان اولها طبقاً لوضعها السرياني وخلافاً للاصول العربية . زد عليه ان الباء في اول بعضها ممحوتة عن بيت صه السريانية بمعنى المكان و « كفر » في البعض الآخر يراد بها القرية او الكورة .

٦ً : اسماء المدن في المستعمرات الفينقية . فهناك في افريقية : قرطاجنة وعاتيقة وبونة او هيبونة وشالا وآزيلا وتشمش وشبرو وارجونيا وكيخا . وفي بلاد اليونان : طبتا وشيرتا وايل أديا وبوصية وتيناي وقلعة قدمو الخ . وفي اسبانيا : مالقة وغادير وكناري ومبتريل الخ. وقس عليها مالطة وغوزو وكيمونا ومونا كو الخ . فهذه المدن باجمعها قد احتلها الفينقيون في غابر الاجيال وأطلقوا عليها اسماء آرامية سريانية بقيت لهذا العهد مع بعض تحريف .

٧ً : الفاظ آرامية وضعها الفينقيون في رحلاتهم على افواه اهالي مستعمراتهم فالتقفها اليونان واستعملوها في حديثهم ثم ادمجوها في لغتهم واثبتوها في قواميسهم . واغلب تلك الالفاظ تتناول بضائع او سلعاً اعتاد الفينقيون نقلها اليهم من لبنان وسورية لاجل المتاجرة . نذكر منها شيرا اي الحرير والبوص والسمسم والارز والقنّب . ومنها اسماء معادن ثمينة مثل المرجان والفيروز

والبلّور والياقوت والزمرّد . ومنها اسماء عقاقير كالليان والمرّ والنرديين والزوفا والبلسم . ومنها آلات طرب كالقيثارة والكنّارة الخ . فهذه الالفاظ باسرها آرامية سريانية محضة ما برح اليونان يستعملونها في لغتهم الفصحى الى هذا اليوم .

٨ً : اثار الفنيقيين وسكوكاتهم في وطنهم اللبناني وفي مستعمراتهم . فقد صرح ثقات المؤرخين ان الفنيقيين الاراميين هم اول من سكّوا النقود ترويجاً لتجارتهم الواسعة في مختلف البلدان الشرقية والغربية برّاً وبحراً وحفروا عليها بعض حروفهم الآرامية ليميزوا صحيحها من فاسدها . ومن امثال سكتهم هذه القديمة الشبيهة اسطوانة في المتحف البريطاني نُقر عليها بالآرامية لفظ « حور ادد » واسطوانة ثانية نُقر عليها لفظ « حرقو » السرياني بمعنى السعر المحدود وغيرهما .

٩ً : اخيراً لهجة اللبنانيين عامةً . فانه على رواج اليونانية بين ظهرانيهم قديماً وعلى تكلمهم وكتابتهم بالعربية منذ القرن الخامس عشر خصوصاً وعلى انصرافهم الى اتقان الفرنسية في عهدنا فقد ظلت اللهجة الفنيقية الارامية عالقة باذهانهم راسخة في ادمغتهم لاصقة بالسنتهم مدوّنة في ابلغ مقالاتهم ومتغلغلة في افصح كتاباتهم . وستظل كذلك الى ما شاء الله تعالى[1] والسلام .

(١) المشرق ٣ [١٩٠٠] ٤٥ وبنوت : الفن في التاريخ ٣ : ٦٣ و٦٣٤ ومقدمة النحو السرياني للمطران يوسف داود ١٦٠ وتاريخ ميخائيل الكبير ٢٥ و٦٧ و٧٠ .

متفرقات (تابع)

نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

٥

طالما تجادل الأدباء في تفضيل الشعر على النثر والنثر على الشعر ولكلّ في ذلك براهين وادلّة . وقد يؤخذ القارئ بهذه او بتلك ولربما حبذ الشعر في ظروف معينة والنثر في ظروف اخرى تهيب بالخطيب ان لا يقول الشعر .

هناك حساسيّة السامعين لا يستطيع الخطيب ان يتجاهلها اذ هي عنصر كبير في توجيه الكلام . أوَ يمكننا ان نعطي حكمًا اجماليًا على النثر والشعر بصورة وضعية دون عودة الى السامع وشعوره المرهف ؟ هذا ما سيقوله لنا المقطع التالي .

[٤] «في ترجيح النثر على الشعر»

«اعلم ان الشعر وان كان له فضيلة تخصه . ومزية لا يشارك بها غيره . من حيث تفرده باعتدال اقسامه . وتوازن اجزايه . وتساوي قوافيه مما لا يوجد في غيره من سايرِ انواع الكلام . مع طول بقايه على ممر الدهور وتعاقب الازمان . وتداوله على السنة الرواة وافواد النقلة لتمكن القوة الحافظة منه بارتباط اجزايه . وتعلق بعضها ببعض من شيوعه واستفاضته . وسرعة انتشاره وبعد سيره . وما يوثره من الرفعة والصنعة باعتبار المدح والهجاء . وانشاده بمجالس الملوك الحافلة . والمواكب الجامعة . في التقريض وذكر المفاخر وتعديد المحاسن وما يحصل عليه الشاعر المجيد من الجناء الجسيم . والمنح الفايق الذي يستحقه بحسن موقع كلامه من النفوس . وما يحدثه فيها من الاريحية . وقوله لما يرد عليه من الالحان المطربة المؤثرة في النفوس اللطيفة . والطباع الرقيقه . وما اشتمل عليه من شواهد اللغة والنحو وغيرهما من العلوم الادبية وما يجري مجراها . وما يستدل به منها في تفسير الكتب المنزلة . وكلام من اوتي جوامع الكلام ومجامع الحكم . فان النثر ارفع درجة واعلا رتبة واشرف مقاماً . واحسن نظاماً . اذ الشعر محصور في وزنٍ وقافية يحتاج الشعر معهما الى زيادة الالفاظ والتقديم فيها والتأخير وقصر

المسدود وهو المقصور . وصرف ما لا ينصرف . ومنع ما ينصرف من الصرف . واستعمال الكلمة المرفوضة . وتبديل اللفظة الفصيحة بغيرها . وغير ذلك مما تلجئ اليه ضرورة الشعر [٥] فيكون معانيه تابعة لالفاظه والكلام المنثور لا يحتاج فيه الى شيء من ذلك فتكون الفاظه تابعة لمعانيه . ويؤيد ذلك انك اذا اعتبرت ما نقل من معاني النثر الى النظم وجدته قد انحطت رتبته . الا ترى الى قول امير المؤمنين علي ابن ابي طالب . قيمة كل امرء ما يحسن . انه لما نقله الشاعر الى قوله

يا لائمي دعني اعاني بقيستي فقيمة كل الناس ما يحسنونه

قد زدت الفاظه ودهست طلاوته وان كان قد افاد المعنى في نصف بيت وانه قد احتاج في زيادته مثل الفاظه مرة اخرى ترضية له في صدر البيت ومراعاة لاقامة الوزن وزاد في قوله . فقيمة . مستكرهة ثقيلة . لا حاجة اليها . وابدل لفظ امرء بلفظ الناس . ولا شك ان لفظ امرء هو اعذب والطف . وغيّر قوله يحسن الى قوله يحسنونه . والجمع بين نونين ليس بينهما الا حرف ساكن غير معتد به مستوخم . واذا اعتبرت ما نقل من معاني النظم الى النثر وجدته قد نقص الفاظه وزاد حسناً ورونقاً . الا ترى الى قول المتنبي يصف بلداً قد علقت القتلى على اسوارها . شعر

وكان بها مثل الجنون فاصبحت ومن جثث القتلى عليها تمايم

كيف نثره الوزير ضياء الدين بن الأثير في قوله يصف بلداً بالوصف المتقدم . وكانما كان بها جنون فبعث لها من عزايمه عزايم . وعلّق عليها من رؤس القتلى تمايم . فانه قد جاء في غاية الطلاوة خصوصاً مع التورية الواقعة في ذكر العزايم . [٦] مع ذكر الجنون . وهذا في النظم والنثر الفايقين ولا عبرة بما عداهما . وناهيك بالنثر فضيلة ان الله انزل به كتابه العزيز ونوره المبين . وان مقاصد الشعر لا تخلو عن الكذب والتحويل على الامور المستحيلة والصفات المجاوزة للحد . والنعوت الخارجة عن العادة . وقذف المحصنات . وشهادة الزور . وقول البهتان . وسب الاعراض . وغير ذلك ما يجب التنزه عنه . وما احسن ما جاء به النثر من الخطب والترسل وكلاهما شريف الموضوع حسن التعلق اذ الخطب كلام مبني على حمد الله تعالى وتمجيده وتقديسه . والتذكير . والترغيب في الاخرة . والتزهيد في الدنيا . والحض على طلب الثواب . والامر بالصلاح والاصلاح والحث على التعاضد والتعاطف . ورفض التباغض والتقاطع وطاعة الايمة . وصلة الرحم . ورعاية الذمم . وغير ذلك مما يجري مجراه مما هو مستحسن

شرعاً وعقلاً . وحسبك رتبة قام بها الانبياء والخلفاء الراشدون . والترسل في مصالح الامة . وقوام الرعية كما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك ومراة الناس في مهمات الدين وصلاح الحال . وبيعات الخلفاء وعهودهم وما يصدر عنهم من عهود الملوك . وما يلتحق بذلك من ولايات ارباب السيوف والاقلام الذين هم ارباب الدول وقواعدها الى غير ذلك من المصالح التي لا يكاد تدخل تحت الاحصاء ولا يأخذها الحصر » .

٦

ان أنس المجالس يتطلب الادب والأدب عنوان عن جملة صفات يتحلى بها الأديب من لطف وكياسة وفطرة واعية وعلم وثقافة وتفتح واسع وعمق حكم على ما يروي وينسرد . وفي المقاطع التالية شيء مما يدلنا على ذلك .

«ان اصل اداب الكاتب التي ترجع اليه وينبوعها التي تفجرت [٧] منه رسالة عبد الحميد الكاتب الى الكتاب يوصيهم فيها وهي : »

«اما بعد حفظكم الله عز وجل يا اهل صناعة الكتابة . وحاطكم ووفقكم وارشدكم فان الله جعل الناس بعد الانبياء . وبعد الملوك اخياراً وان كانوا في الحقيقة سواء في صروف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معايشهم . وابواب ارزاقهم . فجعلكم معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والمروءة والعلم والرواية بكم ينتظم للخلافة محاسنها وتستقيم امورها . وبنصايحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ويعمر بلادهم لا يستغني الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم فموقعكم من الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون . وابصارهم التي بها يبصرون . والسنتهم التي بها ينطقون . وايديهم التي بها يبطشون . فامتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم . ولا نزع عنكم ما افاضه من النعمة عليكم . وليس احد احوج الى اجتماع الخير المحمودة . وخصال الفضل المعدودة . منكم ايها الكتاب . اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صنعتكم . فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج من صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره ان يكون حليماً في موضع الحلم . فهيماً في موضع الحكم . ومقداماً في موضع الاقدام . ومحجماً في موضع الاحجام . موثراً العفاف والعدل والانصاف . كتوماً للاسرار . وفياً عند الشدايد . عالماً بما يأتي من النوازل ويضع الامور مواضعها والطوارق اماكنها . قد نظر في كل فن من فنون العلوم فاحكمه . فان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما يكتفي به بغزارة عقله وحسن ادبه وفضل تجربته ما يرد[٨] عليه قبل وروده . وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره . فيعد لكل امرء عدته وعتاده . ويعي لكل

وحيه هيبته (هيئته) وعادته . فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الاداب . وتفقهوا في الدين وابدوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرايض ثم العربية فانها تثقف السنتكم . ثم احيدوا الخط فانه حلية كتبكم . واروموا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب والعجم واحاديثها وسيرها . فان ذلك معين لكم على ما تسمو همكم . ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيّها وسفاف الامور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب . ونزّهوا صناعتكم عن الدناآت . واربؤا بانفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه اهل الخيالات . واياكم والكبر والسخف والعظمة . فانها عداوة محيلة من غير احنة وتحاشوا الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو اليق بأهل الفضل وتحدث والس من سلفكم وان بد الزمان رحل سكم فاعظم عنه مواسوه حتى يرجع الى حاله ويؤب الى مدة . وان قعد احدكم الكبر عن مكسه والقنا (التي) اخوته فزودوه وعظموه وشاوروه . واستصغروا بفضل تجربته وقدم معرفته . وليكن الرجل منكم على ما اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه احفظ منه على ولده واخيه . فان عرضت في الشغل محمدة فلا يضعها الا على صاحبه . وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه . وليحذر السقطة والذلة والملل عند تغيير الحال . فان [٩] العيب اليكم معشر الكتاب اسرع منه إلى الغرّاء . وهو لكم افسد منه لها فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه الرجل يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه ان يفتقد له وفايه وشكره واحتماله وصبره ونصيحته . وكتمان سره وتدبير امره . ويصدق بفعاله ذلك عند الحاجة اليه . والاضطرار الى ما لديه . فاستشعروا ذلكم وفقكم الله من انفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمؤاساة والاحسان والسرّاء والضرّاء . فنعمة الشيمة هذه لمن وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة . واذا اولى الرجل منكم او صُيّر اليه امر خلق الله وعياله امر فليراقب ربه عز وجل وليؤثر طاعته . وليكن على الضعيف رفيقاً . وللمظلوم منصفاً . فان الخلق عيال الله واحبهم اليه ارفقهم لعياله . ثم ليكن بالعدل حاكماً . وللاشراف مكرماً . (+) موفرًا . وللبلاد عامرًا . وللرعية متالفاً . وعن ادابهم متخلفاً . وليكن في مجلسه متواضعاً حليمًا . وفي سجلات خراجه واستقصاء حقوقه رفيقاً . واذا صحب احدكم رجلاً فليختبر خلايقه . فاذا عرف حسنها وقبحها اعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال لصرفه عما يهواه من القبيح . فالطف حيلة واجمل وسيله . وقد علمتم ان مايس البهيمة اذا كان بصيرًا بسياستها التمس معرفة اخلاقها . وان كانت رموحاً لم يهجها اذا ركبها . وان كانت شبوباً انقاها من قبل بدنها

وان خاف منها شروداً توقاها من ناحية راسها . وان كانت حروناً قمع برفق هواها في طريقها . [١٠] فان طلبت عطفهـا يسيراً فيسلس له قيادها . وفي هذا الوصف من السياسة دلايل لمن ساس الناس وعاملهم . وخدمهم . وداخلهم . والكاتب يفضل ادبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يجاوره من الناس ويناظره وينهم عنه او يخاف سطوته . اولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم اوده من سايس البهيمة التي لا تجيز جواباً . ولا تعرف صواباً . ولا تفهم خطاباً . الاّ بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها الا فامعنوا النظر رحمكم الله واعملوا فيه ما امكنكم من الروية والفكر . تآمنوا باذن الله فمن صحبتموه الينوة والاستئناس والجفوة ويصير منكم الى الموافقة . وتصيروا منه الى المواخاة والشفقة ان شاء الله تعالى . ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة (هيئة) مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وثيابه وخدمه . وغير ذلك من فنون امره . قدر حقه . فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظه لا يحتمل معكم افعال التضييع والتبذير . واستعينوا على عفافكم بالقصد في كلما ذكرته لكم وقصصته عليكم . واحذروا متالف السرف . وسوء عاقبة الترف . فانهما يعقبان الفقر . ويذلان الرقاب . ويفضحان انهلهما ولا سيما الكتّاب . وارباب الاداب . وللامور اشباه . وبعضها دليل على بعض . فاستدلوا على موتنف اعمالكم . ما سبقت اليه تجربتكم . ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة . واحمدها عاقبة . واعلموا[١١] ان للتدبير آفة متلفة . وهي الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته . فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه . وليوخر في ابتدايه وجوابه . وليأخذ بمجامع حججه . فان ذلك مصالحة لنعله . ومدفعة التشاغل عن اكثاره . وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله واديه . فانه ان ظن منكم ظان او قال قايل ان الذي برز من جميل صنعته . وقوة حركته . انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره . فقد يعرض بظنه أو مقالته الى ان يَكِلَهُ الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف . وذلك على من تأملهُ غير خافٍ . ولا يقل احدكم منكم انه ابصركم بالامور . واحمل لعبء التدبير من مرافقه في صناعته . ومصاحبه في خدمته . فان اعقل الرجلين عند ذوي الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره . ورأى ان صاحبه اعقل منه واحمد في طريقه . وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اعتزاز برايه . ولا تزكية لنفسه ولا تكاثر على اخيه او نظيره وصاحبـه . وحمد الله واجب على الجميع

وذلك بالتواضع لعصمته . وانتدلل لعزته . والتحدث بنعمته .

في معرفة اسم ديوان الانشاء

اما الديوان فاسم للموضع الذي يجلس فيه الكتّاب وهو بكسر الدال . قال الجواليقي في صناعة الكتّاب وفتح الدال خطأ . قال واصله دوّان . فابدلت احدى الواوين من ياء فقيل ديوان وجمع على دواوين [١٢] واختلف في اصله فذهب قوم الى انه عربي . قال الجواليقي والمعروف في لغة العرب ان الديوان الاصل الذي يرجع ويعمل مما فيه . ومنه قول ابن عباس اذا سألتموني عن شيء من غريب القرآن والتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب ويقال دوّنت كذا اذا كتبته . والبه تميل كلام سيبويه وذهب آخرون الى انه عجمي وهو قول الاصمعي وعليه اقتصر الجوهري في صحاحه فقال الديوان فارسي معرب . وقد حكى ان الماوردي في الاحكام السلطانية في سبب تسميته بذلك وجهين احدهما ان كسرى ذات يوم اطلع على كتّاب ديوانه في مكان لهم وهم يحسبون فقال ديوانه اي مجانين فسمي موضعهم بهذا الاسم . ولزمه من حينئذ . ثم حذفت الهاء من اخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقيل دوان . وعليه اقتصر ابو جعفر النحاس في صنعة الكتّاب . والثاني ان الديوان بالفرسية اسم للشياطين . وسُمي الكتّاب بذلك لحذقهم بالامور . ووقوفهم على الجلي منها والخفي .

نوابغ الكلم للعلامة الزمخشري

اللهم ان مما منحتني من النعم السوابغ . الهام هذه الكلم النوابغ . ناطقة بكل زاجرة وموعظة . حائمة على كل عبرة موقظة . فخذ بايدينا الى كسب ما تحب وترضى . ووفقنا لمداواة القلوب المرضى . انك اقرب قريب . واجوب مجيب .

السنة منهاجي ومنهاجي . عيني تقرّ بكم عند تقربكم . المرء يقدم ثم يحجم . والنوء ينجم ثم ينجم . حبذا الوادق اذا رعد . والصادق [١٣] اذا وعد . الوقية . والكلاب السلوقية . الاب اعرف واشرف . والام أرأف وأراف . الكريم ينشى بارقة مطلة . ولا يرسل صاعقة مطلة . ارضى الناس بالخسار . بايع الدين بالدينار . حقد الاحن . حصد المحن . الأمين آمن . والخاين خاين . عيش المجاهد جهيد . ورزق الزاهد زهيد . متى اصبح وامسي . ويومي خير من امسي . قد جمع المتقون في ظلال وسرور . والمجرمون في ضلال وسقر . ليس من الشرف والكرم . عادة الثره والعرم . الليالي ما خلدن لذاتك . افتخارهن

محلداتك . العربان غربان . والسودان سيدان . اذا قلّت الابصار . كلّت الابصار . العمل مع فساد الاعتقاد . مثبه في التراب والرماد . من كانت نعمته واصبه . كانت طاعته واجبه . رب صدقة من بين فكيك . خير من صدقة من باطن كفيك . لا تمس بالريبة مهيباً . ولا تنس ان عليك مهيباً . صنوان من مسخ سايله ومنّ . ومن منع نايله وضنّ . عضدك بالملامة واعظوك . لو عن رقاد الغفلة ايقظوك . من لم يقوم التأنيب لم يقوم التأديب . ان جحجم الباطل فانت اسمع من اسمع . وان همهم الحق فكانك بلا سمع . خيم التقصّ طنبيه . وسافر الفضل والجد حنبيه . رب قولٍ اوردك مورد القتال . او ردّك مورد القذال . فرب موهبة . لسرء مذهبه . لاتبادر بادى الراي . وانتظر البادي بعد لاي . من صدقت قطاته ، قت سقطاته . ما لنفس مسلمه . وصفة مسيلمه اكرم حديث [١٤] اخيك بانصافك . وصمه من وصمة التفاتك . هذه طرايق ما فيها رايق . وحلايق عبرها بك لايق . محب المعصية يقصّ بالندامة . وجناح الطاعة يوصل بالادامة . وجد قريناً يناصحه . فصنه قريناً يناطحه . ما منع قول الناصح ان يروقك وهو الذي ينصح خروقك . الكتاب الكتاب . اذا اردت العتاب . فان العتاب مسافهة . متى كانت مشافهة . العلم جبل صعب المصعد . ولكنه سهل المنحدر . والجهل منهل سهل المورد . الاّ انه صعب المصدر . لن يسود النقار . ما اسود القار . استند واستفد . عند يمين من يمين . يزداد الكذوب اليقين . كانوا ياخذون رجال الفضل بزلاتهم الدنانير . حتى فضلوا عليهم الكلاب والسنانير . لحم الحر ياكله اهل الحسد . كما يأكل النمر ولد الاسد . الشريف من اذا غيب عنه غيب . واذا ايب اليه هيب . من اكثر من سبحانْ . فهو ابلغ من سبحان . كيف يثنى عطف المرح الفخار . من اصله من صلصال كالفخار . لا خير في جود المطّال . وان كان كالجود الحطال . لا خير فيمن اذا وعد تعرقب . واذا عزم تعقرب . اذا كثر الطاغون . ارسل الله الطاعون . ما استبان قوم بالدين الاّ حاق بهم الهوان . ونقاهم الزمان . كما ينقى الزوان . ربّ تكليم بالمعقل . اشد من تكليم في المقصل . ربّ كلمة عند الناس فصيحة . وهي عند الله فضيحة . اقل من افسج . اكثر هذه المهج . يا طالب المتاع . طال بك الرضاع . فتى القطام . احذر لا ينبذنك في الحطمة هذا الحطام . لو لم يتق في[١٥] ذمتك سوى دينار . لا تامن ان يطرحك في وادي النار . طهرت فاك بمساويك . لولا نجسته بمساويك . لا تقع الاعمال سيئة . ما لم تقع سيئة . طوبى لمن كان خاتمة عمره كفاتحته . وليست الاعمال بفاضحته . المستبين بدين الله يزيد . على ما فعل

معاويه ويزيد . اطلب وجه الله فيما انت صانع . والاّ فعملك كله ضايع . عول في السباق على دينك . تسبق في جميع ميادينك . كم قذف الموت في هوة . من جمجمة مزهوة . النسا متى عرفن قلبك بالغرام . انصفن انفك بالرغام . متيك في التيه الخبزلى . وقولك ان سُيلت الحبزلا . الاحمق لا يجد لذة الحكمة . كما لا ينتفع بالورد صاحب النهكة . ما للناس بلا خير جمال . وبالخير في الناس مجال . عليك بالعمل دون التمني . واياك والعجل دون التأني . شقشقة هدرة من عجلان كشقشقة عرقتها من حبان . امارة ادبار الامارة . كثرت الربا وقلة العمارة . اياك والامارة . فانها للدمار امارة . وللبلاد ابارة . المبالغة في التدبير . معالبة في التقادير . دابة السوء اذا رحت مرحت . واذا مرحت رحت . الاّ ان فواة الوفاة على الحر اشدّ من الوهدة . الا حبركم في العسر الوبارة تعس بلاها الله بالوبارة . كل وزير مؤسي الاّ وزير موسى . النعمة اليسيرة ينال بها الابهام . وجمع الكف على قصرة ابهام . خف على الصدر السري . من ذوي القدر الرزي . ايها الحول القلب امن جبلتك . ان تجمع المال لبعل حليلتك . في الارض ناس ونويّس . منهم طاووس وطويّس . [١٦] ملاك حسن السمت . ايثار طوال الصمت . اكثر الناس عن الحق زور . ودعواهم باطلة وزور . اذا جن اخوك مخلف على اسمه . وتحرز عن كيده وطلسمه . لا خير في الزمان . ما طلع المرزمان . من لم يثق الحوب . لم تتق له الحوبا . راقب القابض الباسط . وكن المتسط لا القاسط . كم احدث الزمان باك امرًا امرًا . كما لم يزل يضرب زيد وعمرًا . اذا لم تكن ذا عرين اشمّ . كنت لريح الذلّ اشم . عمل فيه رياء . ما فيه ضياء . رب ذورة زاير . اشد من زائرة زائر . زأرة الاسد في الزارة . اهون من زورة بعض الزاره . الناس اكثرهم اغمار . وان تنشت بهم الاعمار . يا ذا الكبر انت بما هو بالعبد اجدر . وان كنت اعز من الكبريت الاحمر . تظر اليك السبعون وانت سبع . تضيع في الدنيا كانك في ثلث ضبع . اذا حصلتك ياقوت . هان عليّ الدرّ والياقوت . ما الثمر اليانع تحت خضرة الورق . باحسن من الخط الرايق في بياض الورق . لا ينشب ظفر الليث في الفريسة . ما دام رابضاً في العريسه . ترك ما لا يتقى عليه وارثه . وتبقى عليه كوارثه . اذا حاز الرجل ما فات . لم يتأسف على ما فات . لا تجعل صندوق السر . الاّ صدر صدور حر . الشرايع بمسايلها . والشرايع بمسايلها . شتان فلان كالباقر . وفلان من الباقر . وقع الباروخ على اليافوخ . اهون من ولاية بعض الفروخ . الصناع جماهر . وقل من هو ماهر . لا يزالون يركبون خطاياهم . كانها على الصراط مطاياهم . الخالي من الدين الخالص . واذا قيل ذو المناقب ذو المناقص .

[١٧] لياليك مدمسات يرينك . بعض ما تهوى ثم يرينك . لا بد للمسعل من قراب . وللمخلب من قناب . لا شرو من سباع في قناص . ومن جنات في رياض . احذر مؤمناً يعذرك . ولا يذر مؤمناً يذعرك . عليك بمن ينذر الابسال والابلاس . واياك من لاتأس ولا باس . القِ عليك طسرية المشيب . وعليك من الحرص رداءً قشيب . تقول انا صايم . وانت في لحم اخيك سايم . غض العدو افعالك . اشد من عض الافعى لك . ويل لكل ريس . من عذاب بيس . المومن للمومن طبع سلس . وهو على الفاسق جامح شرس . صنع العرض مكان القرض . فهو اروح للقلب واسلم للعرض . احسن من الملامه لبوس السلامه . من رفض هذا اللبوس . لم يلق غير البوس . افتخار الذمي بشرف الآل . كاغترار الظمان بلمع الآل . مما لكم تجسحون في الحكم باحكمه . اما تقرعكم من الحكمة حكمة . ان واليت قرين السوء اعداك بدايه . فكل من اعدايه تبعٌ من اعدايه . اقرب شيء عند الله من العسر يسران . واقرب منها عند صاحبه النسران . فرقك بين الرطب والعجم . هو الفرق بين العرب والعجم . يا دنيا تحلّين لاولادك ثم تمرين . وتحلين بهم ثم تمرين . ان الذي سخر الفلك في الماء هو الذي سيّر الفلك في السماء . اذا وقعت المحنة تواكلتم . واذا كانت النعمة تأكلتم . طاء اعقاب العالمين . تطاء ارقاب الجاهلين . لا ترض لمجالستك . الا لاهل مجانستك . رب زاير يراوحك . ويغاديك . وهو ممن يكادحك ويعاديك . وجه بلا حياء عود قشر ليطه . او سراج فتى سليطه . كفاك عبرة صُدّر فلان . ثم [١٨] صودر . واستوسر فلان بعدما استوزر . صدور الاكام وهبوط القبطان خير من الصعود بين الحيطان . المؤمن لا يدر على العصاب . وان مُني بالصعاب . صاحب القمر يغتنم القمر . ومحب السر لا يبالي من السهر . الفرس لا بدّ له من سوط . وان كان بعيد الشوط . كم رأيت من اعرج في درج المعالي اعرج . وكم من صحيح القدم . ليس له في الخير قدم . ان صح الرصح العلن . وان لم يصح فلم ولنْ . من ارسل نفسه مع الهوى . فقد هوى في ابعد الهُوَى . ان لم تملك فضل لسانك . ملّكت الشيطان فضل عنانك . لا ترض عن نفسك تملكها . والالم تملكها . حسن سجية المرء ان يسجي معايب اخيه . وان يعتد بمساويه في جملة مساعيه . خذ بما هو لدينك وعرضك اصون . ولا تأخذ بما هو عليك ادون . اللئيم ملوم بكل لسان . والكريم مكرّم في كل مكان . قرنت المسرّة والمساءة . بالمبرة والاساءة . اذا سمعت بالمناديب فاحضر . واذا دُعيت الى المآدب فاحذر . المرض والحاجة خطبان . امرٌ من تقيع الخطبان . من تنازحت امواله . تزاحت احواله . كل

طريقه لم يقومها حجه . فتلك طريقه معوجّه . التاجر مجده في كيسه والعالم مجده في كراريسه . من احطاته المناقب . لم تنفعه المناسب . انتم كبات وودان يتمرغ في انتن المسك . ويقلن مـا اطيب ريح المسك . المودة والاحاد . حال الشدة دون الرخاء . ما العتيق الماثور . باقطع من الحديث المشهور . من قرع باب اللئيم . قلع ناب الكريم . ويـل للمساكين من المساكين . مـا ذو همة مشمعلّة . كمن يتثبت بكل علة . من اعظم انعمة صحة [١٩] الابدان . وهي علة التسوف والمعصيان . يا انسان عـادتك السيان اذكر الناس ناسي وارق القلوب قاسي . قد آمن الحرمان من سال الرحمن . بئس الحارس . واكثرهم الخاس شيان شيان في الاسلاء . الرشدة وشجاعة في حكمه . فالق لحب والنوى . حاذق حب والنوى ما قرع السفيه بمثل الاعراض . وما اطلق عنانه مثل العراض طعم الالا احلى من المن . وهو امر من اللالا مع المن . ما ملأ البيادر الاّ البذور . وما ملأ البدر الاّ الشذور . الاسراف اتراف . والاسلاف اتلاف . افلس القوم افلسهم . وافلسهم افشلهم . اصحاب السلطان اعظمهم خطرًا . وابعد الناس مرق في الجبل اشدهم حذرًا . شيّع الحسنة بحسن الجزاء . فما احسن الشعرى خلف الجوزاء .. لا تصلح الامور الاّ باولى الالباب . والارجاء لا تدور الاّ على الاقطاب . الداين والمديون مدبران . ولا خير في وال الدبران . سورة السفيه يكسره الحلما . والنار المضطرمة يطفيها الماء . رب زيادة هي نقصان فايدة . والكف تنقصها الاصبع الزايدة . لا بد مع ذا من ذيّا . والدبران تلوّ الثريا . رب مستفت اعلم من مفتي . واللتيا اكبر من التي . قد يصحب الجاهل اولى النهى . والفراقدّ معها السهى . يد البخيل لا تبض حتى تسلق بالمقول . ولا تستخرج ما في الجبل الاّ بالضرب بالمعول . لا تبلغ سوقه ثناء وملك . ولا يجري كوكب جرى فلك . الرجل يترك يرّادانيه . وهو الى الاباعد يحن . والنعامة تهجر بيضها وبيض اخرى تحضن . مثـل الحصن البصري مثل الحجاج . [٢٠] واللؤلؤ يخرج من الماء الاجاج . ولد الشريف اولى بالشرف . والدر اغلى من الصدف . لا غرو ان يرتفع اولو الجهل وينحط العالم . فقد يتدلى سهيل ويستقل النعايم . زينة الارض بالعلماء . وبالكواكب زينة السماء . شعاع الشمس لا يخفى . وسراج الحق لا يُخمَد ولا يُطفَى . سوف ينفعك ما انت معط . وان دُفعت الى ذياب معط . العلم درس وتلقين . لا حراس وتلقين . كم لا يَد في الركاب . من ايادي فيّ الرقاب . ان البراطيل . تنصر الاباطيل . من منى بالرهب . منى بالحرب . ثقل الصخرة من القنُن . اهون من حمل المنّن . اكثر

الناس الى الملك تلفتاً . اقلهم من العلك تفلتاً . اهل الحرب والجدل . بين الحرب والجذل . اتم الاوداء والاغراء . ما لم يتسبكم المراء . الفلاحة بالفلاح مصحوبة . والبركة على اهله ماء مصبوبة . المرء عنوان امره . عنفوان عمره . ما من داب في الادب ابدا . كمن بدا فيه وشدا . من عرف المعارف . عرّف المراعف . كُن صاحب قران . ولا تكن صاحب قران . كل قريب لك عليه رقيب . يودّ ان تُخبَر عما قريب . ولذلك يقول مالك ارثى . واخوك يقول مالك ارثى . اهيب السحيق . وان كان منك في البلد السحيق . لا مسك ولا اناب . اطيب من نسك من اناب . ما مسك دارين . اطيب من نسك دارين . لا يعبأ المومن بشغب كل منافق . فكم من عير شاهق . عند صلِ شاهق . بذر في مطمورة . بر في مطمورة . اصحاب الاطهار يلزمون صحاب الامطار . الدنيا مملوءة عبرًا . متحوزة عيرًا .

[٢١] ومن محاسن الكلام

من جهل المرء ان يعصي ربه في طاعة هواه . ويهين نفسه في اكرام دنياه . وهو من هواه في ضلال . ومن دنياه في زوال . ايام الدهر في ثلاثة . يوم يمضي لا يعود اليك . ويوم انت فيه لا يدوم عليك . ويوم مستقبل لا تدري ما حاله وما اهله . فتعنّ عن امسك الماضي . وتزود من يومك الفاني . لغدك الآتي . كل يوم يشوق الى غده . وكل امرء ماخوذ بجناية لسانه . خير عملك ما استصلحت به يومك . وشره ما استفسدت به قومك . الحذر خير من الحدر . لان الحذر يضعف الحجة . والحدر يتلف المحجة . اياك والحدر فان بكثرة الكلام يزل اللسان . وتمل الاخوان . فاقلل المقال . وتوق الامال . من افرط في المقال زل . ومن استخف بالرجال ذل . من قل من كلامٌ بطن عيبه . ومن كثر احترامه حسن غيبه . فاقتصر من كلامك على اليسير . وجد في احترامك عن التقصير . تستر عنك العيوب . وتجتمع على محبتك القلوب . من قل توقيه . كثرت مساويه . ومن حسنت مساعيه . طابت مراعيه . من حسن الاختيار . الاحسان الى الاخيار . ما عز منْ ذل جيرانه . وما سعد من شقي اخوانه . اذا شرف الخلق . لطف النطق . من اعز فلسه . اذل نفسه . حسن اللقاء . يولد حسن الاصغاء . من كرم حلم . من لطف شرف . عادة الكفران تقطع مادة الاحسان . من لم يشكر الاحسان . لم يعدم الحرمان . جهل يضعف حجتك . [٢٢] خير من علم يتلف مهجتك . فتحصن بالجهل اذا نفع . كما تتحصن بالعلم اذا نفع . من قال بما لا ينبغي . سمع ما لا يشتهي . قصّر

كلامك تسلم . واطل احتشامك تكرم . من قال بلا احترام . اجيب بلا احتشام . من انكر الخطاب . انكر الجواب . من لم يحمل قيلا . لم يسمع جميلاً . فلا تقولن ما يسرك جوابه . ويضرك معابه . لكل قول جواب . ولكل فعل ثواب . فلا تقولن مرًا . ولا تفعلن شرًا . ولا تعودن نفسك الا ما يكتب لك اجره . ويحسن عنك نشره . لا تحاج سلطانك . ولا تلاحِ اخوانك . فمن حاج سلطانه قُهر . ومن لاحى اخوانه هُجر . اعقل لسانك الا عن حق توضحه . او باطل تدحضه . او حكمة تنشرها . او نعمة تشكرها . واياك وما توحش به حرًا . وتطلب به عذرًا . فمن اوحش الاحرار . زهد في عشرته . ومن اكثر الاعتذار شك في عذرته افضل اساس من بنى عن قدرة . وتواضع عن رفعة

قال معاوية : شر الزمان من يعاد اويخاف . ومن وضعناه تتبع

شعر :

قـــابلت جهلهم حلماً ومغفرةً والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

اربع لا يفي بها الا رجل حاذق . عمل السلطان . واتخاذ القيان . ومواصلة الدعوات . واقامة المروات . عجبت لمن يرجو من فوقه كيف من دونه . لا يحسن للصدر . الاّ وسع الصدر . ثلاثة تدلّ على عقول اربابها . الكتاب والرسول . والهدية . وجدت بغداد في البلاد . كالاستاذ في العباد .

[٢٣] ومن باب الحكم النافعة والالفاظ الجامعة

نسيان البر . يودي الى حط الشكر . من منع بره . طوى شكره . لا تسئ الى من احسن اليك . ولا تعن على من انعم عليك . من اساء الى المحسن منع الاحسان . ومن اعان على المنعم سلب الامكان . من جحد النعمى . فقد الحسنى . ما اقبح منع الاحسان . مع حسن الامكان . اذا اذنبت فاعتذر . واذا اذنب اليك فاغتفر . فالمعذرة بيان العقل . والمغفرة بيان الفضل . حسن النية اتم برّ والطف . وكرم السجيّة اعظم فخر واشرف . من غرس شجرة الحلم . اجتنى ثمرة العلم .

نبذة من فصول ابي الفتح البستي

من اصلح فاسده . ارغم حاسده . من اطاع غضبه . اضاع ادبه . عادات السادات . سادات العادات . من سعادة جدك . وقوفك عند حدك . افحش الاضاعة . الاذاعة . الخيبة . تهتك الحيبة . والدعة . رايد الصنعة . من لم يكن لك

نسياً . فلا ترج منه نصيباً . الرشوة رشا الحاجة . اشتغل عن لذاتك . بعمارة ذاتك . اجهل الناس من كان للاخوان مذلا . وعلى السلطان مدلا . حبيبك لا يعيبك . الاثار السنة الاقدار . اذا بقي ما فاتك . فلا تبأس على ما فاتك . الدنيا فنا الغنا . البشر عنوان الكرم . ربما كانت الفطنة فتنة . والمهنة محنة . من حصن اطرافه . حسن اوصافه . من تبرج بره . تأرج ذكره . من كان عبد الحق فهو حر . المرء يهدم المروءة . التهم شجاع العقل . [٢٤] رضى المرء عن نفسه . دليل تخلفه ونقصه . الحدة والندامة . فرسا رهان . والجرد والشجاعة . شريكا عنان . والتواني والخيبة رضيعا لبان . الجود وضع الموجود . بموضع الجود . نعم الشفيع الى عدوك عقله . لا تغتر بصحة مزاجك في الهوى الوبي ولا تغتر بحدة بصرك في الظلمة الراكدة . افراط العاقل تساقل الحدة تريك صورة الجهل . رب مقال لا يقال . احسن الاخلاق . انفس الاعلاق . المرء من غرر الايام في غرر . ومن صفوها في كدر . افضح النصيحة عدم القريحة . الحلم مطية وطية . لكل غلو سلو . يوشك ان يقصر من يغلو . ويسفل من يعلو . كيف القرار على الشرار . المنية . تضحك على الامنية . مسلك الحزن حزن . ضيّق الصدر . من صغر القدر . احسن الجنة . لزوم السنّة . الرد الخايل . خير من الوعد الحايل . الخلاف غلاف الشر . من كان رأيه صحيحاً . لم يكن بميسور البر شحيحاً . نعم العدة . طول المدة . عسى ان تحظى في غدك . برغدك . زمام العمل . بيد الامل . البرايا . اهداف البلايا . طلوع العقوق . افول الحقوق . حد العفاف . الرضى بالكفاف . لا ضمان على الزمان . من لزم السلم سلم . ليكن قرينك . من يذينك . الخرق . آفة الخلق . افراط السخاوة رخاوة . ربما كانت العطية خطية . لا يعدم الصرعة . ذو السرعة . القلقة قل السفه . لكل حادث حديث . ربما اغنت المداراة . عن المباراة . البشر نوعاً لا يحاب . العقل جهبذ النقل . ما كل خاطر بقاطر . البخل سوس السياسة . [٢٦] العفو يطمس الهفو . التبذل . تبذّل . العفيف يكفيه اللطيف . ثقل العفيف . خفيف . لسان النصيح . فصيح . اوهى المصايب . المعايب . ربما تشور من تهور . افراط الدماثة غثاثة . افراط الفخامة . وخامة . رب مغبوط معبوط . افراط الثانّي توانٍ . لا ضايع بين الصناعة . والقناعة . الانصاف احسن الاوصاف . عليك بالحذر من الحذر . ربما تكون المنية . منية . معنى المعاشرة ترك المعاسرة . ما خرق الرقيع مرقع . ربما تكون العناية جناية . من افرط اورط . رب مورد مورّط . ورب مصعد هو مهبط . قدر الامين ثمين . من قصّر امله . طهّر حمله . الغريب زنـد

العداوة . الشكر جنة التارس . والصبر جنة الآيس . التصلف ترجمان تحاتف . كفى بالسبي دهياً . وبالهدى هادياً . من تعقل تنطل . ضل الخطا يكسف شمس الوفاء من لزم الادب . أمن العطب . قوتك قرتك . البيان علم العلم . ليكن اقدامك توكلاً . واحجامك تأملاً . احوان هذا الزمان حوان . الناس عبيد الخواطر . الغيث لايخلو من العيث . بلاذ طبع . غير ضع . وقريحة عير قريحة . وحيم غير وخيم . باع فلان الباسقات . واشترى الناسفات .

من كلام سقراط

الفاضل من قدر على الاساءة فكف . وعلى الخطية فعف واراد تلميذه سفرا . فقال له وصني . فقال سيء الناس من تعرفه وكن ممن لا تعرفه على حذر . وياك والوحدة . وكن كاحد تاعك . وايساك والضجر وسوء الخلق . واذا نزلت منزلا فلا [٢٦] تمش حسافياً بليل . ولا تذق شيئاً لا تعرفه . ولا تغتنم مخاوف الطرقات لقربها . وعليك بامنها . ولو بعدت عليك . وقال : لا ترون على ذي خطاء خطاءه . فانه يستفيد منك علماً وتصير له عدواً . وقال : الزمان يحذر من نفسه ويخبرك بسوء غايلته . وانه لموكل بتكدير الصفو . وتشتيت الجمع . وانه لواعظ لمن بقي بمن مضى . ومن كانت الايام به سايرة . لا شك ان اعضاد بالية . ومنهجته عن الدنيا راحلة . وقال : النميمة تهدي الى القلوب البغضه . ومن واجهك فقد شتمك . ومن نقل اليك فقد نقل عنك . وقال : كفى بالتجارب تأدباً . وبتقلب الايام موعظة .

ومن كلام افلاطون

سل القلوب عن المودة . فانها لا تقبل الرشاء . وقال : بحب الدنيا صحة الاسماع عن الحكمة . وعميت القلوب عن نور البصيرة . قيل له ما العدل . قال : ترك الهوى واتباع الهدى . قيل فما الشرف . قال : احتمال المكاره . والصبر في العظايم . قيل فما الكرم . قال تأدية الحقوق . ومراعاة الصديق الصدوق . قيل : فما اللؤم . قال : طلب اليسير . ومنع الحقير . قيل : فما العز . قال : كثرة المال . والاكتفاء على كل حال . قيل : فما الذل . قال : شدة الافلاس . والانكسار عند الناس . قيل : فما الحلم . قال : العفو عند القدرة والرضى بعد

١٧٨٧—١٨٤٥

السخط . قيل . فما الخرق . قال : سرعة الوثبة والعجلة قبل الفرصة . قيل : فما العقل . قال : سرعة الفهم وقلة الوهم . قيل : فما الجهل . قال : الطيش عند الغضب . [٢٧] والحقد عند السخط . قيل : فما الشجاعة . قال : العزم على التقدم . والثبت قبل التندم . قيل : فما الجبن . قال : الظن بالحياة . والحرص في النجاة . قيل : فما الرفق . قال : درك الكثير . بالشيء اليسير . قيل : فما الحمق . قال : مكايدة السلطان . ومتابعة الشيطان . قيل : فما السؤدد . قال : بذل الندى . وكف الاذى . قيل : فما القناعة . قال : الصحبة بالعفاف . والرضى بالكفاف . قيل : من السعيد . قال : من اعتبر بأمسه . واستظهر لنفسه . قيل : من التقي . قال . من جمع لغيره وبخل على نفسه . قيل فمن الحازم قال : من حفظ ما في يده ولم يأخر شغل يومه لغده

قال في كتاب السياسة

ان استطعت ان تعاشر الآ عالماً او صانعاً فافعل . فان العالم مرتاض بخدمة العلم . والصانع بملازمة الصناعة . ولسعيهما جميعاً نظام . والبطال انما يصرفك مع خاطره . فليس تنتهي معه الى امر محدود . وقال اخس النفوس نفس صبرت على الاستضامة للمدة . وقال من ضعف عن كتمان سره . لم يقو بشيء من امره . وقال انبساطك عورة من عوراتك . فلا تبذله الآ لمأمون عليه وحقيق به . وقال اذا قلت حجتك في المناظرة على كريم اكرمك ووقرك واذا قلت على خسيس عاداك واعادها لك . وقال اموات الاحياء اربعة . السقيم في بدنه . والمشرد عن وطنه . والناظر الى مال غيره . والمقدم عليه ممن هو دونه . وقال الحكيم الغنا الاكبر في ثلاثة اشياء . نفس عالمة تستعين بها على دينك . وبدن [٢٨] صابر تستعين به على طاعة ربك . وتتزود به لمعادك وليوم فقرك . وقناعة بما رزق الله بالياس . عما في ايدي الناس . وقال آخر : ثلاثة لا يصطلح فسادهن بشيء من الجبل . العداوة بين الاقارب . ومحاسد الاكفاء . والركاكة في الملوك . وثلاثة لا يشبع منهن . العافية والمال والحياة . وقال آخر : ثلث هن سرور الدنيا وثلاث غمها . فاما السرور فالرضى بالقسم . والعمل طمعاً في النعيم . ونفي الاهتمام برزق غد . واما الغم فحرص مسرف وسوال ملحف . وتمني ملهف . وقال آخر . ثلاثة لا تدرك بثلاثة . الغنى بالمنى . والشباب بالخضاب . والصحة بالادوية وطيب الطعام في جوف المريض . قال سقراط : ما رفع احد فوق منزلته الآ قسد . الا تنظر الى دودة الخل اذا طرحتها في العسل

كيف تموت اجتمع حكيم الروم وحكيم الهند وحكيم الفرس . فتذاكروا شر الأشياء . فقال الرومي : همالم يقترن به العدم . وقال الهندي : سقم البدن ودواه الحزن . قال الفارسي : دنو الاجل وسوء العمل . فحكم له . قال بعضهم : كم مرغوب فيه يسوء ولا يسر . ومرغوب منه ينفع ولا يضر . لا تقطع قريباً وان كثر . ولا تأمن عدواً وان شكر . اشد الغصص . فوت الفرص . من غالب من فوقه غلب وتأخر . ومن غالب من دونه حقر . الدنيا لا تصفو لشارب . ولا تفي لصاحب . الدنيا تقبل اقبال الطالب . وتدبر ادبار الهارب . اقلها خديعة . وادبارها فجيعة . ولذاتها فانية . وتبعاتها باقية . من اعجبته اراؤه . غلبته اعدائه [٢٩] ومن استعبى بعقله ضل . ومن اكتفى برأيه زل . وقال عبد الله بن المعتز : الحكمة شجرة تنبت في القلب وتثمر في اللسان وانس بن ... الصبح بن الملا تقريع متواضع من طلاب العلم كثير علمه كما ان مستحصد من الارض كثر ما ... زيادة العلم . نقص الكلام نعم الجهل . كرياض الربى . استتبع جناح الطالب . الامال لا تنتهي . واحي لا يكتفي . المرض حبس البدن . والهم حبس الروح . المعرفة بالفضيلة عليك . فضيلة منك . قلوب الاحرار . حصون الاسرار . اهل الدنيا . كصور في صحيفة لا ينشر بعضها الا اذا طوى بعض . من لم يتعرض للتوايب . تعرضت له . افتقر الولد او عاداك . من تكلف ما لا يعنيه . فاته ما يعنيه . النار ما ينقصها ما أخذ منها . ولكن يخمدها اذا لم تجد حطباً . وكذلك العلم لا ينته الاقتباس منه ولكن فقد الجاهلين سبب عدم . قال بعض الاطباء : عليك بثلاثة . واجتنب ثلاثة . عليك بالرسم والحلوى والحمام . واجتنب الدخان والغبار والغيظ . قال غيره : قليل الراح صديق الروح وكثيرها عدو الجسم . وقال غيره : لا تجالس الثقلاء فان مجالسة الثقلاء تحمى الروح . الشرب على الجوع دوى . والاكل على الشبع ادوى منه . وقال : شرب الرحيق على الريق حريق . وقال غيره : اربعة تضر في البصر . وتعود على المرء بالضرر . النظر الى عين الشمس . والى القتلى والجرحى والنظر الى وجه العدو . وقال غيره : راحة الجسم في قلة الطعام . وراحة النفس في قلة الآثام . وراحة القلب في[٣٠] قلة الاهتمام . وراحة اللسان في قلة الكلام . وقال غيره : من لم يبتهج بالربيع ولم يتمتع بنسيمه ولم يتروح بنواره وازهاره . فهو فاسد المزاج . يحتاج الى العلاج . وقال بعض البلغاء : العلم شجرة ثمرتها المعاني . والفكر بحر لؤلؤه الحكمة . وخير الكلام ما كان لفظه فحلاً . ومعناه بكراً . وقال غيره : الخط في الابصار سواد . وفي البصاير بياض . وقال لصديق له : اتخذ صنعة تغني لك اذا خانك الاخوان .

غيره : الاصدقاء كالنار . قليلها متاع . وكثيرها بوار . قال غيره : الزمان صروف تحول . وامور تجول . والشكر ركاة النعمى . والوفاء معه صلاح العقبى . قال غيره : العلايق هي العوايق عن الحقايق . وقال : في وصف شيخ هرم : قد اخذ من عقله كما اخذ من جسمه . ونعم الرفيق الترفيق . قال غيره : الكريم من اكرم الاحرار . والكبير من صغّر الدينار . وسبيل الانسان في الاحسان . سبيل الاشجار في الثمار . وقال الكلب يزمن حين يسمن . ولا يتبع حين يشبع . وعند الجوع يهمّ بالرجوع . وقال : الخبر اذا تواتر في النقل . قبله العقل . وقال ما كل نابع ماء . ولا كل سقف سماء . وقال: سم المرسم في الشهد . والشمس تقبح في عين الرمد . ومن لم يجد الحسيم . رعى الهشيم . ورسوم الكرام دبرن . وقال في وصف خيل ما هو الاّ صوف الكلب . ومخ الدر ولبن الطير .

وقال بعض الحكماء في وصف اللسان

الكلام حدّ الانسان الحي الناطق . والصمت منام . والنطق يقظة . وقال : الكلام قاضٍ يحكم بين الخصوم . وضياء يجلو الظلم . [٣١] حاجة الناس الى موادّه كحاجتهم الى مواد الاغذية . وقال لاحد الناس ان حدّ الانسان انه ناطق . فمن كانت رتبته في النطق ابلغ . كان بالانسان اخلق . وقيل لبعض الحكماء ايما افضل الصمت والنطق . فقال ان الله بعث انبيايه بالنطق لبيان الحجة وانك تمدح الصمت بالنطق . ولا تمدح النطق بالصمت . وما عبرت به عن شيء فهو افضل منه . وقيل لآخر . الصمت خير ام الكلام . فقال : لعن الله المساكتة فما افسدها اللسان . واجلبها للعي . وقال : الصمت مفتاح السلامة . الاّ انه قفل الحمق . وقال : اللسان عضو ان مرنته مرن . وان تركته حرن . وقال : اللسان اذا كثرت حركته . كثرت عثوبته . كالرجل اذا عُوّدت للمشي مشت . وقال : ما الانسان . لولا اللسان . الا صورة ممثلة . او بهيمة مهملة . وقال بعض العلماء : مغرس الانسان القلب . وزراعه الفكر . وقيّمه العقل . وزهره الاعراب . وثمره الصواب . وجانيه اللسان . ومما شرف به الانسان من خصايص الاحسان . ان الله رفع قدره على سايرالاعضاء . فانطقه بتوحيده والهمه بتمجيده . وقال : اللسان جوهر الانسان .

ومن خصايصه انه اداة يظهر بها البيان . وظاهره يخبر عما بطن في الجنان . وحاكم يفصل الخطاب . وناطق يرد الجواب . وواصف تُعرّف به الاشياء .

وواعظ ينهى عن المحشاء . وشاهد يسأل عن الغايب . وشافع تدرك به المطالب . وموثق يلبي الخواطر . ومؤنس يزيل وحشة النافر . [٣٢] ومن تسكن به علة الجليل . ومزين يدعو الى الجميل . وزارع ينبت الوداد . وحاصد يذهب الشحناين والاحقاد .

قال الشاعر :

خلق اللسان لطلقه وكلامه ... لا للسكوت وذاك خط الافرس
فاذا نطقت فكن مجيباً سايلاً ... ان الكلام يزين رب المجلس

غيره

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق الا صورة اللحم والدم

ومما قيل في وصف الادب

الادب نوعان : نفسي وكسبي : فالنفسي ما كان من محاسن الافعال . الدالة على كرم الطباع . والكسبي ما استفادته النفس من احاسن الاقوال . الاخذة باعنة القلوب والاسماع . وهو الذي ترجمت عنه في هذا الموضع . ليقع ذكره في النفوس احسن موقع . قال بعضهم : الرجل بلا ادب . شخص بغير اله . وجسد بلا روح . وقال : الادب شرف لا ينطبع الا في مثله . وقال : الادب يرفع العبد المملوك . حتى يجالسه في مجالس الملوك . وقال بعضهم لبنيه : تأدبوا فان كنتم ملوكاً برزتم . وان كنتم اواسطاً فقتم . وان اعوزكم المعاش عشتم . استفيدوا من الادب ولو كلمة واحدة . وقال : تعلموا الادب فانه زيادة في الفضل . ودلالة على العقل . وصاحب في الغربة . وانيس في الوحدة . وجمال في المحفل . وسبب الى درك الحاجة . وقال : والله لن اموت طالباً للادب . خير لي من ان اعيش قانعاً بالجهل . وقال : زكّ قلبك بالادب . كما تزكي النار بالحطب . وقال : من لم يكتسب بالادب مالاً . اكتسب به جمالا . وقال : الادب اكرم الجواهر طبيعة . [٣٣] يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغايب الجليلة . وينجح القصد والوسيلة . بالاداب يلحق الدني بذوي الاحساب . وقال : من قعد في حسبه نهض في ادبه . وقال من تأدب ولا حسب له الحقه ادبه بامثل الحسب . وقد يستغني بالادب عن الحسب . وقيل : الادب ينوب عن الحسب . ولا ينفع حسب بلا ادب .

تكلم رجل بين يدي المأمون فاحسن . فقال له المأمون من انت . فقال

ابن الادب . فقال : نعم النسب الذي انتسبت اليه . وهذا قيل المرء من حيث يثبت . لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد . وقيل من كثر ادبه . كثر شرفه . وان كان وضيعاً . وبعُد صيته وان كان خاملاً . وساد وان كان غريباً . وكثرت حوائج الناس اليه . وان كان فقيراً . وقيل : حسن الادب يستر قبح النسب . وقيل : الفضل بالعقل والادب . لا بالاصل والنسب . وقيل : المرء بابنايه لا بابايه . وبفضله لا بفضيلته . وبعقله لا بعقايده .

وصفًا قيل في البلاغة

اظهر ما غمض عن الخلق وتصوّر الباطل في صورة الحق . وقيل : ابلغ الكلام ما حسن ايجازه وقل مجازه وكثر اعجازه . وقالوا البلاغة اتصال المعنى الى القلب في حسن صورة من اللفظ . وسئل بعضهم عن البيع . فاجاب الذي اذا قال اسرع . واذا اسرع ابدع . واذا ابدع حرك كل نفس بما اودع . وقالوا لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يكون معناه الى قلبك اسبق من لفظه الى سمعك . وقيل : البلاغة ما رضيته الخاصة . وفهمته[٣٤] العامة . قيل لاعرابي : هل عندكم في البادية طبيب . فقال : كلا . ان حمير الوحش لا تحتاج الى بيطار . وقيل لغيره : كيف حالك فقال : امزق ذنبي بالذنوب . وارقعه بالاستغفار .

وصفًا قيل في مدح العقل

سئل بعضهم ما حد العقل . فقال الوقوف عند الاشياء قولاً وفعلاً . وسئل آخر فقال : الاصابة بالظنون . والتلمح فيما قد كان وما يكون . اي التجربة . وقال العقل هو ادراك الاشياء على ما هي عليه من حقيقة معانيها . وصحة مبانيها . وقيل لغيره : ما مقدار العقل . فقال : ما لم يُرَ كاملاً في احد فلا يُعرف له قدر . وقالوا : لكل شيء غاية وحدّ . والعقل لا غاية له ولا حدّ . ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الازهار في الرايحة والطيب . وقيل : العقل غريزة لا يقدر احد ان يضعها في نفسه ولا في غيره . ولا يُعرف الا بالاقوال والافعال الدالة عليه . ولا سبيل الاّ ان يوصف بجسم ولا لون . ولا طول ولا عرض . وقيل اربعة تدل على صحة العقل . حب العلم وحسن الحلم . وصحة الجواب وكثرة الصواب . وقالوا اذا اردت ان تعرف عقل الرجل في مجلس واحد . فحدثه في خلال حديثك بما لا يكون . فان انكر فهو عاقل . وان صدق

فهو احمق . وقيل : لا تحد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه . ولا يسأل من يخاف منعه . ولا يعد بما لا يستطيع على انجازه . وقيل عقل بلا ادب فقر . وادب بلا عقل خنق .

قال لقمان لابنه

يا بني لا يتمّ عقل امرئ حتى يكون له عشرة خصال . ١ — يكون اكبر [٣٥] منه مأموناً . ٢ — والرشد فيه مأمولا . ٣ — وفضل ماله مبذولا . ٤ — ولا يصيب من الدنيا الاّ القوت . ٥ — التواضع احب اليه من الشرف . ٦ — والذل احب اليه من العز . ٧ — لا يسأم من طلب المعالي . ٨ — ولا يتبرم بطلب الخوايج اليه . ٩ — يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقله من نفسه . — ١٠ — وان يرى جميع الناس خيراً منه وانه شر منهم .

فهذه الخصال تشيد مجده . وتكبت ضده . وتعلّي قدره . وتطيب ذكره . وقالوا العاقل اذا ولى بذل في المودة نصره . واذا عادى رفع عن الظلم قدره . فيستعين موالية بعقله . ويعتصم معاديه بعدله . وربما احتاج ذو العقل والحلم الى اكتساب المودة والعلم . وقيل الادب صورة العقل . فحسّن صورة عقلك كيف شيت . وقالوا احرص ان لا يكون ادبك اغزر من عقلك . فان من زاد ادبه على عقله كان الراعي الضعيف في الغنم الكثيرة . وقيل يعجبني ان ارى لسانه زايد على عقله . وقيل زيادة العقل على اللسان فضيلة . وزيادة اللسان على العقل رذيلة . وقيل العقل اصل لكل محمود من الاخلاق . فاذا عدم الاصل فلا بقاء للفرع مع عدم الاصل . وقيل لبعضهم متى يكون العاقل عاقلاً . فقال اذا عقّله عقله عما لا ينبغي فهو عاقل . وقيل العقل ملك والخصال الحسنة رعية . فاذا ضعف عن القيام عليها . وصل الخلل اليها . فالعاقل من ذاد عن مراتع الهوى نفسه . وكفها عن شهوات تقرب رمسه . وقيل الهوى مركب ذميم يسير بك في معضلات [٣٦] الفتن . ومرتع وخيم يقعدك على مواطن المحن . وقيل من كان لعنان هواه املك . كان لطرق الرشاد اسلك . وقيل اعدل الناس من انصف عقله من هواه . ومنع نفسه مما يكون سبباً لبلواه . ولحظ الاشيا بعين فكره واضماره . فعلم من ورود الامر عاقبة اصداره . وقال بعضهم يصف انساناً بصيراً بالعواقب . فلان يعرف من مبادى الافعال خواتم الاعمال . ومن صدور الامور الحجاز ما في الصدور . وقال فلان يرى العواقب في مرآة فكره . فلا يشتبه عليه نفعه ولا ضره . قيل لبعض المجانين حل لك في الشراب . فقال العاقل يشرب الخمر

حتى يشبّه بي . فاذا اشربته انا ثمن دا اشبه . وقيل العاقل من اهتدى بمشورة نصحايه . وكشف لهم عن ستور اغراضه واخايه . وقيل من شاور الاحلاء آمن من كيد الاعداء . وقيل لا تدخل في مشورتك بخيلاً فيقصر بنفعك . ولا جباناً فيخوفك . ولا حريصاً فيصدك . فان البخل . والجبن . والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله . وقيل ربما خطأ العاقل فيدعى الرضى . ويخطى عن مثل جمر الغضا . وقيل لبعضهم من اعقل الناس . قال من يجعل سمعه عرضاً لمحشاه . وكان الغالب عليه التغافل . وقال اشرف الكرم . عما تعلم . وقال التغافل من الكرام . يمنح الاجلال والاكرام . وقال من اسرع الى الناس بما يكرهونه . قالوا فيه ما لا يعلمونه . ومن علم ان فخر الدنيا يسير . حقّر من التقوى رداء للسير . ووصف احدهم الدنيا فقال . من [٣٧] نال منها مات فيها . ومن لم ينل منها مات عليها . وقال الدنيا تطلب لتطلب لسببه . للغنا وللعز وللراحة . فمن قنع استغنى . ومن زهد فيها عزّ . ومن قل سعيه استراح . وقال من جرعته الدنيا حلاوتها يميله اليها . جرعته الاخرى مرارتها بتجافيه عنها . وقيل عين الدهر تطرق بالمساوى . والخلايق ينار بين اجنانها . وقيل الدنيا بيت جُعل كل الشر فيه . وجعل مفتاحه الرغبة فيها . وقيل ان الدنيا لم تخلق لينظر اليها . بل انما خُلقت لينظرها الى الاخرة . قال ملك ما لحكيم ما وقد اعجبه سلطانه كيف ترى ما نحن فيه . فقال له الحكيم . سرور لولا انه غرور . وحسن لولا انه عدم . وملك لولا انه هلاك . وحيوة لولا انه موت . ونعيم لولا انه عذاب اليم . وقيل السكوت فيما يغنيك . شر الكلام فيما يضرك . والسكوت فيما لا يضرك . خير من الكلام فيما لا يعنيك . وقيل زلة الرجل تجبر . وزلة اللسان لا تبقى ولا تدر .

ومما قيل في ذم الجهل والجنون والحمق

قيل لبعضهم ما حدّ الحمق فقال لا حدّ له كالعقل . وقال الناس ثلاثة . مجنون ونصف مجنون . وعاقل . فاما المجنون فانت منه في راحة لترك الاختلاط به . واما النصف المجنون فانت معه في تعب لضرورة الاحتياج اليه . واما العاقل فقد كُفيت مؤنته . وقيل اذا اراد الله ان يزيل عن عبد نعمة كان اول ما يغير منه عقله . وقال الحمق داء دواؤه الموت . وقيل لو جاز لوم الاحمق على ان يعقل جاز لوم الاعمى على ان يبصر .

شعر

[٣٨] لكل داء دواء يستطب به الا الحماقة اعيت من يداويها

قال الاصمعي لغلام اعرابي ايسرك ان يكون لك مائة الف درهم وانك احمق . قال لا والله . قال له : ولمَ . قال اخاف ان يجني علي حمقي جناية يذهب مالي ويبقى حمقي . وقالوا مجالسة العاقل بالوثاق . خير من مجالسة الاحمق على السندس والاستبرق . قال لقمان لابنه لا تعاشر الاحمق وان كان ذو جمال . فانه كالسيف حسن منظره . قبيح اثره . وقيل هجران الاحمق قربة الى الله تعالى . وقيل ان الاحمق صال مضل . ان اوئس تكبر . وان اوحش تكدر . وان استطلق تخلف . مجالسته تضر . وموالاته تغر . ومقارنته شقاء . ومفارقته شفاء . وقيل العاقل يضر عقله عند مجاورة الاحمق مثل الاحمق كالثوب الخلق اذ رفاته من موضع تخرق عن موضع اخر . وقال ان اردت ان تتهر عالماً فاحضر له جاهلاً . وقيل لا مصيبة اعظم من الجهل . ولا صاحب اجذل منه . وقيل الجهل موت الاحيا . وقيل الجهل في القلب كالاكلة في الجسد . وقيل العالم كبير وان كان صغيرًا . والجاهل صغير وان كان كبيرًا . وقيل الادب عند الجاهل كالماء في اصول الحنظل . كلّما ازداد رياً ازداد مرارة . وقيل الجاهل اذا تكلم فضحه غيّه . واذا سكت فضحه جهله . لا علم تغنيه يغنيه . ولا علم غيره ينفعه . ان قال لم يُحسن . وان قيل لم يستحسن . ذم اعرابي جاهلاً فقال : فلان ان اعرضت عنه اغتم . وان اقبلت عليه اغتر . وان حلمت عليه جهل عليك . وان جهلت عليه حلم عنك . وقيل [٣٩] الجاهل عدو نفسه . فكيف يكون صديق غيره . وقيل فلان خطاؤه بعد اجتهاده . وصوابه من غير اعتماده .

شعر

يصيب ولا يدري ويخطى وما درى وكيف يكون الترك الاّ كذلك

ومن علاماته الغضب في غير شيء . والكلام في غير نفع . وافشاء السر . والثقة بكل احد . ومن علاماته ايضاً العجلة . والخفة . والتواني . والضياع . والتفريط . والغفلة . والسهو . ان استغنى بطر . وان افتقر قنط . وان فرح امر . وان بكى جار . وان ضحك نهق . وان اعطيته كفرك . وان اعطاك منّ عليك . ومن علاماته ايضاً كثرة الالتفات . وسرعة الاجابة . وتحريك الراس اذا مشى . وقيل كم عاقل اخّره عقله . وجاهل صدره جهله . وقيل لا يزال

العاقل يشقى بعقله لصحة تفكيره . وحسن تدبيره . قال رجل لفيلسوف ما. تعال نتناظر في القدر . فقال وما اصنع بمسطرة . رأيت اشاعرة وستدلت به على الباطن . رأيت الاحمق مرزوقاً . والعاقل محروماً . فعلمت ان التدبير ليس من العباد . وقيل اعجب الاشيا نجح الجاهل . واكداء العاقل . حتى قيل لو جرت الاقسام على قدر العقول لم تعش البهايم .

مما قيل في ذم اللسان المكثار

ان صاحبه لا يأمن آفة الزلل والعثار . قيل الاكثار يزل اللسان ويزيل الاحسان . ولا شيء اوضع للانسان من كثرة الكلام وقيل اذا كثر الكلام حتى ، واذا احتمل اعتل وقيل خير الكلام ما قل ودل ولم يطل فيسل وبلغ الناس من ترك الفضول . واقتصر [٤٠] على الايجاز . وقيل ليس البلاغة بحصة اللسان . ولا كثرة الهذيان . ولكنها اصابة المعنى . والقصد الى الحجة . وقيل خير الكلام ما كان من الحصر بعيداً . وللاسماع مفيداً . وهو ان يكون لا مايلاً الى الحصر فتضعف الحجة . ولا الى الهدر فيتلف المهجة . وقيل الكلام كالدواء . ان اقللت منه نفع . وان اكثرت منه صرع . وقيل قصر اذا قلت . واقتصر اذا اطلت . واياك والاكثار . فانه شين العاقل . وجبن الجاهل . وقيل العثار مع الاكثار . فمن ملك طول لسانه . اهلكه فضل بيانه . ومن طال لسانه. بعد احسانه . وقيل لان اربي عدوي بسهمي خير لي من ان ارميه بلساني . لان ربي اللسان لا يخطى . وربي السهم يخطى ويصيب . وقيل لسانك سيف قاطع بيديك . وكلامك سهم نافذ يرجع عليك . فاقتصر في المقال . واياك وما يوغر صدور الرجال . وقيل الكلمة اسيرة في وثاق الرجل . فاذا تكلم بها عاد اسيراً في وثاقها . وقيل من اطلق لسانه بكلما يجب . كان اكثر مقامه حيث لا يجب . وقال لقمان لابنه يا بني ان من الكلام ما هو اشد من الحجر . وانفذ من الابر . وامرّ من الصبر . واحرّ من الجمر . وان من القلوب مزارع فيها الكلمة الطيبة . فان لم يكن ينبت كلها ينبت بعضها . وقيل ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يقطع بها رقبة عنز فتبلغ امامه فتسفك دمه . وقيل حفظ اللسان . راحة الانسان . وطول اللسان . يقصر الاجل . وخطا القول يصيب المقتل . فمن اخزن لسانه حقن دمه . ومن ملك كلامه امن [٤١] ندمه . فاللسان سيف مرهف . لا ينبو حدّه. والكلام سهم مرسل لا يمكن ردّه . وقيل الجاهل مستعجل باظهار المعاني قبل احكامها . ولم يحن اوان تمامها . فاذا سددها

يخطى غرض الصواب . وقيل اذا كان الشؤم في شي ففي اللسان صمت يعقب الندامة . خير من نطق يسلب السلامة . فالصمت زين الحلم . وعودة العلم . يلزمك السلامة . ويصحبك الكرامة . ويكفيك مؤنة الاعتذار . ويكسبك ثوب الوقار . وقيل لسانك كالسبع . ان عقلته تركك . وان ارسلته اهلكك . احرز لسانك . كما تحرز مالك . واعرفه كما تعرف ولدك . وزنه كما تزن نفقتك . وانفق منه بقدر . وكن منه على حذر . فان انفاق الف درهم من غير وجهها . ايسر من اطلاق كلمة في غير حقها . فعليك بالصمت وان اصبت بالقول وبرزت في الفضل . فان الصمت زينة العاقل . وجميلة الفاضل .

ومما قيل في كتم الاسرار

اذا انتهى السر من الجنان . الى عذبة اللسان . فالاذاعة مستولية عليه . وعيون العواقب تطر اليه . وقيل القلوب اوعية الاسرار . والشفاه اقفالها . والالسن مفاتيحها . فليحفظ كل امرء مفتاح سره . وقيل سرك من دمك فلا تجره في غير اوداجك . فانك متى تكلمت به ارقته . وكما انه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها . وكذلك لا خير في لسان لا يملك سره . فكن على حفظ سرك احرص منك على حقن دمك فسرك اسيرك . وان بذلته كنت اسيره . اذا ضاق صدرك عن نجواك . فكيف يستكنه سواك . وقيل من كتم سره عن [٤٢] صديقه . مخافة ان تنتقل صداقته فيذيع سره . وقيل الكاتم سره بين احدى قضيتين . الظفر بحاجته . والسلامة من شر اذاعته . وقيل اصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبده لصديقه . وقيل كتمان سرك يعقبك السلامة . وافشاه يعقبك الندامة . والصبر على كتمان السرائر . خير من الندامة على افشايها . وقيل ادنى خلايق الشريف كتمان سره . واعلى اخلاقه كتمان ما أسر اليه . فهذه كلمات صدرت من صدور صافية من كدر العقل وغشه . لكي يحذر بها العاقل من لذع الكلام ونهشه .

شعر

اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى ... الى كل ما فيه عليك مقالُ

غيره

خصايص من تشاوره ثلاثـــة ... فخذ منهـــا جميعاً بالوثيقـــة
وداد خالص ووفور عقـــل ... ومعرفـــة بحالك في الحقيقـــة
فمن حصلت له هـــذه المعاني ... فتـــابع رايه والزم طريقـــه

وقيل

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعسري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة وان اقبلت كانت كثير همومها

وقيل

لا تيأسن من اللبيب وان جفا واقطع حبالك من حبال الاحمق
لعداوة من عاقل متحمل اولى واسلم من صداقة احمق

وقيل

[٤٣] كفى المرء نقصاً ان يقال بانه معم صباب وان كان واصلا

وقيل

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو فهذا له حدٌ وهذا له حدُ
وقد سكنا تحت الحشا وتحالفا على منهجي ان لا يفارقها الجهدُ
واي طبيب يستطيع بحيلةٍ يعالج من داءين ما منهما بدُ

وقال بعضهم يمدح قلّة العقل

من رزق الحمق فذو نعمة اثارها واضحة ظاهره
يحط ثقل الهمّ عن نفسه والفكر في الدنيا وفي الاخره

قيل في مدح الصمت

وصمتك من غير عي اللسان ازين من الهذر في المنطق

وقيل

ولا تكثرن فخير الكلام قليل الحروف كثير المعانِ

وقيل

ورب كلام قد جرى من ممازحٍ فساق اليه حتف سهم معجل
اذا ما لسان المرء اكثر هرجه فذاك لسان بالبلا موكل
فان شيت ان تحيي عزيزاً مسلماً فدبّر ومبّر ما تقول وتفعل

وقيل

احفظ لسانك واستعذ من شره ان اللسان هو العدو الكاشحُ

وزن الكلام اذا نطقت بمجلسٍ فيه يلوح لك الصواب اللائحُ
فالصمت من سعد السعود بمطلعٍ يحيى بـــه والنطق سعد ذابحُ

وقيل

[٤٤] وزن الكلام اذا نطقت فانما يبدي الرجال من السترر المنطقِ

وقيل

لا تود عن ولا الجماد سريرةً فمن الجوامـــد ما يشير وينطقُ
وادا اتاك اداغ سر اخ له وهو النضار فمن به يستوثقُ

وقيل في الجبون

مـــ استحرح لمثل تتل العصا لطالبيـــه من اني العصرِ
اليس قـــد اخرج موسى بهـــا لقومـــه الماء من الصخرِ

وقيل

المـــال في الغربـــة اوطـــان والفقر في الاوطـــان احزان

(يتبع)

الآثار المطويّة

بقلم

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

البطريرك يوسف حبيش

تمهيد

البطريرك يوسف حبيش عَلَم من اعلام الدين والدنيا . وبين معنى بطاركة الموارنة حجةٌ وأسدّهم رأياً وأشدّهم صلابةً وعناداً حتى يسوغ له وجه الحق واسرعهم جرأةً عند الاقتضاء لا يبالي بالمخاطر ولا تخيفه المصاعب . وكثيراً ما خاض ميادين النزال يقلب مُليءٌ بالحزم والعزم والشجاعة والاقدام وخرج منها معقود راية النصر . وكان الامير شهاب الكبير يحترمه ويجلّه ويداريه ويتحاشى ان ينكّده او يستفزّه بشيء ما .

في يدنا اربعة مناشير له أنفذها الى ابناء ملّته المارونية رأينا ان نمهّد لها باثبات ترجمته المختصرة جداً وان تكن مطبوعة لانها نادرة الوجود وامست هي ومناشيره من الآثار المطويّة فآثرنا تجديد طبعها للتاريخ . وعنوانها :

« رسالة تاريخية في ترجمة المغبوط البطريرك يوسف حبيش الانطاكي على الطائفة المارونية . لجامعها الخوري يوسف شبيعه اللاذقي المرسل الرسولي الماروني. نقّحها ووقف على طبعها بولس افندي زين الغزيري اللبناني . طبعت بمطبعة الارز بجونية سنة ١٨٩٧ »[1] .

(١) ان جارور (خزانة) البطريرك يوسف حبيش في مكتبة بكركي هو اكبر جوارير البطاركة قبله وبعده ، بما ضم من كثرة المراسلات والتقارير والاحداث التي جرت في عهده . الى اوراق هذا الجارور لجأ العلامة المؤرخ المدقق المرحوم الخوري بولس قرألي الذي قلبها ودرسها درساً شافياً وافياً وألف منها ترجمة مطولة لهذا البطريرك تنتظر في الف صفحة جاهزة للطبع على ما اخبرني رحمه الله . وكان قد عهد اليه بوضعها احد أقارب البطريرك الحبيشي في ساحل علما فطلب منه الخوري بولس لقاء تسليمه اياها مخطوطة الف ليرة لبنانية فرفض الشيخ وظلت الترجمة بيد مؤلفها . وعلى ما اذكر انه ورد فيها ذكر هذه الحادثة وهي : انه في احدى السنين زار البطريرك يوسف حبيش الامير بشير شهاب في بيت الدين فرحب به الامير واستقبله استقبالاً فخماً وسلم عليه بهز اليد ولما اختفى به قبّل يده وركع امامه وقال له : « انا ابنك وانت بطركي » وقد تناولا معاً طعام الغداء وفي نهايته صرف الامير الخادم وأمر على صب الماء على يدي البطريرك من ابريق كبير من الفضة فوق طشت من الفضة ايضاً . فتأمل .

وهذا هو نص الترجمة بالحرف الواحد :

ترجمة

من عدت فيه وذكرك وسمت ذكره وحراه اطلاق نفيت الخالد الاثر سمه
مشاهير الشرق القرن التاسع عشر المغبوط السعيد يوسف حبيش الاسطفاني من
السلسلة السروية رحمه الله وأسكنه فسيح الجنان في آمين

وُلد صاحب الترجمة المغبوط في الثالث والعشرين من نيسان سنة ١٧٨٧ بقرية ساحل علما احدى قرى كسروان في جبل لبنان . وفي اول ايار من السنة عينها احتفل لمعموديته بكنيسة دير حريصا للاباء الفرنسيسيين الافاضل على يد رئيسه اذ ذاك المرحوم الاب الفاضل برنرديوس . اما والد الخير المترجم له فهو المرحوم الشيخ جوان بن تمر بن ياغي بن ضاهر بن يونس بن سليمان حبيش . اما والدته فهي المرحومة السيدة ظريفة ابنة المرحوم الشيخ ياغي بن جنبلاط شقيق تمر المومأ اليه .

ومنذ كان في مهد الطفولة والرضاع غُذي بلبان الفضل والتقى ومحاسن الاخلاق والخلال الحميدة . فنشأ على حب الفضائل والآداب المسيحية بما أرضعته أمه ودرّجته اليه من ذلك تحت عيانة ابيه وعنايته المنصرفة الى تنشئته وتنميته في هذا السبيل السويّ شأن الابوين الكريمين المتوفرين على قضاء فروض الوالدية والقيام بالواجبات الابوية . واطلقا عليه اسم يعقوب. ولما استدّ ساعده وبلغ أشدّه اسلماه الى المؤدّب بكتّاب قرية الساحل المذكورة قرب كنيسة القديس دوميط فيها وهي التي بناها ابوه ؛ فتعلّم القراءة الابتدائية في اللغتين السريانية والعربية وأحسنها . وكان في مقدمة الاحداث النجباء والصبيان البادية فيهم مخايل الفهم والذكاء والنباهة . وما زال في هذا الطور من العمر يزداد نماء جسمًا وعقلاً حتى يفع وشبّ فحدّثته نفسه بمساماة المقامات والتطلع الى اسنى الحالات فألقيّ في روعه حبّ شرف الاكليريكية فمال اليها كل الميل وقصد لها مدرسة عين ورقه الشهيرة وكانت في اوائل نشأتها ذات دخل قليل يدبّر شؤونها مؤسسها الطيب الذكر المفضال الخوري خيرالله اسطفان الذي صار استفاً على قورش بوضع يد المغبوط البطريرك يوحنا الحلو واعوانه الاساقفة الافاضل . فاقبل صاحب الترجمة على طلب ما كان يُلقى يومئذ في تلك المدرسة الزاهرة من الدروس شادياً مبتدئاً من كتاب علم اصول السريانية وقواعدها المعروف بالغراماطيق متدرّجاً الى فن الترجمة والتعريب

منها وابيها وهو المعبّر عنه حينئذ بالتصدير . ثم تلقّى فنّي النحو والتصريف في العربية منتهياً الى دراسة علمي المنطق واللاهوت الاعتقادي والادبي .

وفي بداءة اندماجه في عداد الطلبة كان يتناول لوازم نفقته من بيته ويأوي الى بيت شاهين القرم احد شركاء المدرسة الموصوف بالتقوى وحسن السيرة تخفيفاً لمؤونة المعيشة والسكنى عن المدرسة . على ان رئيسها الفاضل اموصا ابيه ابى الاّ ان يكون في عداد التلامذة الدائمين لا يفارقهم عيشة ولا سكناً لما توسم فيه من آيات الزكن وتوقّد الذهن والحرص على تحصيل المعارف وانمائه فامتثل الامر ولازم بيت العلم في جملة الطلبة وأكبّ على الدرس والتحصيل مواظباً بجدّ لا يخامره ملل حتى حاز قصب السبق وفاق اقرانه . وكان من زملائه الدارسين المرحوم الشيخ شاس راحي الحرد الذي صارعه في حلاه وجرد في مضمار الاجتهاد . وصار بعدئذ حلفاً له (بطريركاً باسم يوسف الحاردي) على كرسي البطريركية .

ولما اتمّ المترجم له دروسه وبلغ من السن الحدّ اللائق بالمرشح للدرجات الكهنوتية المقدسة استدعاه السعيد الذكر المطران انطون الخازن رئيس اساقفة بعلبك وجعله كاهناً في الخامس عشر من شهر ايار سنة ١٨١٤ وأقامه وكيلاً يتولى تدبير شؤون دير بقلوش بكسروان . فقام بواجبات الوكالة حق القيام وظهرت جدارته لتقلد المهام وعُرفت مزيته بحسن المسلك والقدرة على التصرف . فدعاه اليه المغبوط البطريرك يوحنا الحلو على قصد ان يرسله الى مدينة الاسكندرية وكيلاً بطريركياً وخورياً يخدم ابناء الطائفة في الأمور الدينية هناك غير ان تحول جسمه حال دون ذلك فرأى غبطته المشار اليه ان يبعثه الى مدينة بيروت على القصد المذكور فانبعث وأحسن النهوض بشؤون بني الطائفة البيروتيين احساناً جمع قلوبهم على محبته واحترامه .

ثم بدا لسيادة مطرانه المشار اليه فاستقدمه اليه من بيروت وجعله برديوطاً وارسله الى غزير قصبة بلاد كسروان رئيساً على كهنتها ومدبّراً لاهاليها في الامور الدينية : فاتاها ونزل بجوار سيدة الابراج حيث اتخذ مسكناً له احدى الحجر اختصة بها وطفق يسوس الرعية بما أوتي من الفضل والحكمة وسعة العلم : فارتفعت منزلته وذاعت مآثره بين الناس خصوصاً وفرة غيرته الفنحاسية وعفّته اليوسفية .

وكان في اثناء ذلك ان المغفور له الامير عبدالله شهاب قد ندبه مرشداً له ولآل بيته الكريم وهو يومئذ وليّ الامر والنهي في مقاطعة كسروان فانتدب

واجاب مستمرًا مواظباً على خدمته الاصلية لا يألو جهدًا في تدبير شؤون ابنائه الروحيين . وكان كثير الحثّ على عبادة البتول مريم العذراء ، عليها اشرف السلام ، اقصى قصده ومنتهى جده فرفع لهذه العبادة منارًا عليًا متلهباً في محبتها حتى امسى قدوة الصالحين ومثال العاملين في كرم الرب . ولبث في قصبة عزير الى شهر ايار سنة ١٨٢١ .

...

ولما كان المغبوط البطريرك يوحنا المشار اليه رأى ما رأى من مناقب صاحب الترجمة استدعاه اليه ورقّاه بالانتماء مع السادة المطارين الى درجة الاسقفية المقدسة وسمّاه مطران طرابلس الشام في الخامس عشر من الشهر المذكور . فسرّ بذلك استاذه السعيد الذكر المطران يوسف اسطفان سرورًا لا يوصف . وكان حاضرًا حفلة ترقيه الى الاسقفية ، واتصل هذا النبأ السار بدويه ومعارفه وبنيه لا سيما اهل ابرشيته فأدخل على قلوبهم جزيل الحبور والاستبشار .

ولما ان بلغ سكان الابرشية قدومه نشطوا للقائه فرحين وتلقوه بغاية التكريم والتعظيم وما لبث ان بثّ فيهم تعاليمه السديدة ومواعظه المفيدة وأحسن تدبير الشؤون الدينية كل الاحسان فعظم شأنه في النفوس ومالت اليه القلوب ، بيد ان مدته لم تطل في اسقفية طرابلس لوفاة المغبوط البطريرك يوحنا السابقة الاشارة اليه في ١٥ ايار سنة ١٨٢٣ وعلى اثر وقوع هذا الخطب اجتمع مطارنة الطائفة وهم اذ ذاك الطيبو الذكر المطران انطون الخازن والمطران يوسف حبيش (صاحب هذه الترجمة) والمطران سمعان زوين النائب البطريركي في الامور الرهبانية والمطران اسطفان الخازن رئيس اساقفة دمشق الشام والمطران عبدالله البستاني الوكيل البطريركي (وقتئذٍ) في ابرشية صور وصيدا والمطران بطرس كرم رئيس اساقفة بيروت والمطران عبد الله بليبل رئيس اساقفة قبرس . وكان اجتماعهم في دير قنّوبين حيث استأثر الله تعالى بالفقيد البار . ولدن انعقاد النادي أقيمت الصلوات واستُمطرت الرحمات واستُنزلت إلهامات الروح القدس لانتخاب مَن فيه كمال الاهلية لمقام البطريركية السامي .

وبعد ان توالت الجلسات والمذاكرات السرية على مقتضى المنصوص في المجمع اللبناني المقدس أجريت اصول الاقتراع فخرج السهم الفائز للمغبوط صاحب الترجمة في ٢٥ ايار سنة ١٨٢٣ وأقيمت حفلة جعله بطريركاً يوم الاحد الاول بعد الانتخاب . وكان مجلى الاحتفال باهرًا عظيماً سارت

انباؤه وطارت اخباره في ارجاء لبنان والمدن المجاورة فعمّ السرور وشمل الحبور وكان ذلك اليوم مشهوداً وتوارد الناس فيه وفوداً حشوداً يؤدون له فرض التهنئة وينتهزون فرصة التبرّك دراكاً تباعاً والكل جذلون فرحون يحمدون الله مداد نعمه وعداد كلمه انه اتاح لهم بطريركاً خطيراً وأباً كبيراً شهيراً. ثم وجّه برأي اساقفته الى روما العظمى من عوّل عليه واعتمده وهو المرحوم الاب الفاضل القس باسيليوس دوروس الراهب الارمني من رهبان دير الكريم وعزّزه بعريضتين احداهما الى قداسة الخالد الذكر البابا لاون الثاني عشر والاخرى الى الطيب الذكر رئيس مجمع نشر الايمان المقدس في شأن طلب درع التثبيت ولما كان السفر الى رومة ايامئذ ذا مشاق ومصاعب عظيمة يلزم المسافر من اجلها ايام طويلة ذهاباً وإياباً غاب الاب المعتمد زهاء ستة اشهر في خلالها بشرف المثول لدى امام الاحبار وقابل نيافة رئيس المجمع المشار اليها ورفع اليها العريضتين فطولعتا فاذا كلتاهما تنطق بحسن صفات المنتخب وجدارته اتمامة بمنصب البطريركية. فسرّ قداسته لذلك كثيراً وفسّح له من عجز العمر لما ان المرشح لمثل هذا المقام الجليل ينبغي ان يكون بالغاً السنة الاربعين من عمره. وغبطته كان في السادسة والثلاثين. وقد أثبته قداسته في مجمع الكرادلة النبلاء وأمر له بالبراءة الرسولية وبترجمتها الى العربية وطبعها في رومة ليتيسر توزيعها على الشعب الماروني. وعاد الاب المبعوث من رومة الى جبل لبنان حاملاً تلك البراءة الرسولية الكريمة ودرع الرئاسة المقدس. فبلغ المقام البطريركي اواخر نيسان سنة ١٨٢٤ وجعل ثالث شهر ايار التالي موعد الاتشاح بالدرع المقدس. وكان ذو الغبطة المشار اليه اذ ذاك بديره المشيّد على اسم القديس جرجس بقرية ساحل علما فوفد عليه مطارنة الطائفة واساقفتها وعدد عديد من الاعيان والوجهاء وغيرهم حتى الجأت كثرتهم الى ان أقيمت رسوم الحفلة في كنيسة القديس نوهرا. بقرية الساحل بدلاً من كنيسة الدير المذكور رعايةً للسعة. وكان للاتشاح بالدرع المقدس مجالي ابهة وبهجة وتعالت الادعية لله تعالى بتوطيد اركان الكنيسة الكاثوليكية وتأييد عرش رأسها المنظور إمام الاحبار وخليفة القديس بطرس هامة الرسل الاطهار والدولة العليّة وحضرة السلطان الاعظم حتى اذا انقضت الحفلة الموصوفة عاد ذو الغبطة والمطارنة الى الدير المذكور وجعلوا يتلقّون وفود ذلك الحشد العظيم بوجوه تتدفق بشراً وبشاشةً ومظاهر اكرام وحفاوة بالغة متناهية. ولما آن وقت الانصراف تراجعوا مكرّرين التهانئ وملء السنتهم دعاء وثناء وملء صدورهم امالا ورجاء.

ثم ضاق صدغة البطريرك اشار اليه يعني بتدبير شؤون الطائفة وادارتها على محورها اللائق بعلوّ همة وسداد رأي لا يهمل منها شيئاً ولا يغمض عرفة عين اناء الليل واطراف النهار شأن الاب الشفوق الحريص على ترقية احوال اولاده واسعاد بلاده . وكان من اللين والرفق والدعة بالمكان الذي رسمه السيد المسيح « له المجد » لمن احب الاقتداء به اذ قال : « تعلموا مني اني وديع متضع القلب . طوباكم ايها الودعاء فانكم ترثون الارض » وكان من الحلم بحيث يحمل المذنب على الاقرار بذنبه والاعتراف بخطائه واظهار التوبة والندم على ما فرط منه بمعنى انه كان ليّناً في شدة شديداً في لين يُرجى ويُخشى

اما مهابته فكانت وحدها ضامنة بنفاذ كلمته المقدسية في القلوب وتأثيرها سواء في الكبير والحقير . ولقد عظم شأنه وارتفعت منزلته حتى احترمه واعظم قدره المغفور له الامير بشير الشهابي الشهير والي جبل لبنان لعهده ووقع بينهما امور دلّت على ثبات جأش البطريرك وقوّة عزمه تجاه سطوة الامير وبطشه وتلك ماجريات متشاهرة معلومة الى يومنا هذا .

وبالجملة فان صاحب الترجمة كان مقداماً حازماً عظيماً حليماً كثير التأني والتفكير حسن السياسة والتدبير شديد الاتكال على الله تعالى في كل اموره وجميع مهماته لا يشغله شاغل عن عبادته والمواظبة على تكريم البتول العذراء البريئة من الدنس والقديس يوسف خطيبها الذي اتخذه شفيعاً له باتخاذ اسمه الشريف عند ارتقائه الى الدرجات المقدسة وكثيراً ما كان يسأله المساعدة في سبيل المتاجرة بالوزنات المعهود بها اليه من لدن السيد المسيح لذكره السجود .

وقد اشتهر اشتهار النار على علم بغيرته وفضله وتوفّره على تقدم ابناء طائفته الذين لم يدع شيئاً من الجد والجهد في سبيل ترقيتهم علماً وعرفاناً وآداباً وحضارةً . وما توسم في احد منهم امارات النبوغ في المعارف والعلوم الا انتقاه وارسله الى مدرسة المجمع المقدس في رومة . واول من شمله واختصّه بهذه العناية السعيد الذكر المخلّد السيد بولس مسعد البطريرك السابق لما وجد فيه من كمال الاهلية وتمام الاستعداد . ولقد اتفذ من ديوانه البطريركي عدة مناشير ضمّنها ضروب التدريب والتهذيب لآل الكهنوت على اجمل مثال واحسن منوال

مطابق لمنطوق المجمع الثاني . وأمر كهنة الرعايا وشدّد عليهم ان لا يخلو كاهن منهم من حسنة دفاتر في كنيسته لتقييد اسماء المعمودين والمثبتين والخاصين والمتزوجين وانذرهم بالعقاب الصارم ان خالفوا اوامره الصادرة بذلك . وبان لا يمرّ احد او عيد خلواً من شرح التعليم المسيحي واقامة الصلاة الجهارية (الخوروس) مساء كل احد وعيد وصباحها وبدراسة الكتب اللاهوتية والروحية كل يوم سبت ليكونوا اكفاء للقيام باعباء وظيفتهم المقدسة . ثم ان يعتنوا بالمدارس الابتدائية المقامة في القرى لتعليم القراءة في اللغتين السريانية والعربية والقاء التعليم المسيحي ورسوم تهذيبه .

ووجّه عنايته الى مدرسة عين ورقة الشهيرة فرقّاها الى فوق ما كانت عليه ورسم بان يدرس فيها الطلبة اللسانين الطليانيّ واللاتيني والعلوم العالية كالفلسفة واللاهوت الاعتقادي وسائر ما يلزم المترشحين للدرجات الكهنوتية .

ثم امر بتحويل دير القديس عبدا هرهريًا الى مدرسة اكليريكية عمومية يتلقّى بها الطلبة اللغات والعلوم المذكورة وكان ذلك سنة ١٨٣٠ . ثم بتحويل دير القديسين سركيس وباخوس في ريفون الى مثل ذلك سنة ١٨٣٢ .

ثم بناء على استئذان المجمع المقدس جعل ابرشية الكرسي البطريركي في صور وصيدا ابرشية اسقفية مستقلة كسائر الابرشيات وعهد بها اصالةً الى الطيب الذكر المطران عبدالله البستاني الذي كان عليها بصفة وكيل بطريركي واعتاض عنها بابرشية بلاد الجبّة والبترون وجبيل .

ثم أمر بتأسيس جمعية المرسلين المارونيين (الكريميين) على قصد التجوّل بين ابناء الطائفة واعطين مرشدين في الأمور الدينية وانتدب اليها من كان اهلاً لها . وهم المرحومون الخوري يوسف الرزّي والخوري يوحنا الصائغ الموصوف بالاستنبولي والخوري ميخائيل المعوشي والخوري يوسف عطيه الصوري والخوري بطرس العينبلي وكلهم من تلامذة مدرسة عين ورقة المشهورين بالخطابة والتقى والعلم وعيّن لسكناهم ومثابتهم مدرسة عين طورة المارونية وذلك سنة ١٨٤٠ .

وقد رقّى الى المناصب الاسقفية من توسّم فيهم الجدارة والاستحقاق واشتهروا بحسن السمعة وطيب الذكر وهم المثلّثو الرحمات المطران بولس موسى كساب الجزّيني جعله خلفاً له في الاسقفية ورئيساً على اساقفة ابرشية طرابلس الشام والمطران بولس اروتين الحلبي رئيساً على اساقفة ابرشية حلب والمطران

يوسف الخازن رئيساً على اساقفة ابرشية دمشق الشام . وهذا هو الذي حنّكه في البطريركية وانصرف يوسف روفق الجزّيني على قورش ورئيساً على مدرسة عين ورقة .

ثم كان في ١٣ ايار سنة ١٨٤١ انه حفلة واحدة رقّى ثلاثة من الكهنة الاجلاء الى ذرى الاسقفية وهم السعيد الذكر السيد بولس مسعد وجعله مطران طرسوس ونائباً بطريركياً في الامور الدينية والسيد فيلبّوس حبيش شقيق غبطته مطراناً على حماه ورئيساً على دير القديس جرجس في ساحل علما والسيد طوبيا عون مطراناً على بيروت . ثم انه في ٢٥ كانون الاول سنة ١٨٤٣ جعل السيد يوسف جعجع مطرانا على ابرشية قبرس . وأمر الراهبات كلبن ان يتمسن القراءة السريانية ليمكن من اقامة الصلاة الفلية (الحوروس) فكان امر مفعولا .

...

ثم من مزاياه انه كان شديد الاعتقاد قويّ الايمان حريصاً على طاعة الكرسي الرسولي وامتثال اوامره ونواهيه بغاية الاحترام والاعظام موعزًا بذلك الى طائفته كلها جمعاء . وكان يكره ايّة بدعة وارتقة خصوصاً بدعة لوتيروس وكلوينوس الملعونة. وكثيرًا ما جدّ في مقاومة اشياعهما والآخذين اخذهما ومنع هذا الداء القتّال للنفوس ان تسري عدواه في لبنان خوفاً على بنيه ان يصابوا بها ، وقد اصدر منشورين كريمين ضد هذه البدعة وبهما نهى عن كل مواصلة مع البروتستانت تحت طائلة الحرم الكبير . ولوفرة هيامه بفضيلة الطهارة السامية كان يتباعد عن كل مظنّة ويتحامى ايّة شائبة كانت تخلّ بشرف صيانتها او تضع من قدرها ولذلك أمر بمنع دخول النساء مطلقاً الى غرف المدارس كعين ورقة ونحوها واوجب الحرم الكبير على كل مخالف لهذا النهي .

...

وقد كان مقرّ الكرسي البطريركي دير قنّوبين بجبّة بشرّاي وحده : فوجّه عنايته اوائل عهد بطريركيته الى ترميم دير سيدة بكركي في كسروان وكان متهدماً مهجورًا وجعله مقرًا في فصل الشتاء . وبنى دير الديمان وشيّد

فيه كنيسة على اسم القديس يوحنا مارون وجعله مصيفاً[1] . أما الخريف فكان يمضيه في قنوبين وانما غاية قصده بذلك تربية اسباب نجاح طائفته

وكان دخل الكرسي البطريركي غير كاف فاعتنى به حتى جعله وافياً بالحاجة وزيادة . ولقد بلغ من فرط عنايته بطائفته ووفرة دأبه في تقوى الله وخير القريب ومؤاساته بنيه في السرّاء والضرّاء ان مُني بداء لم يكن خفيف الوطأة فاحتمله صابراً متجلداً مدة خمس سنوات .

ولما رأت الدولة العليّة حسن مساعيه وتحققت صحة تابعيته وشدة تعلقه باهداب الخلافة العظمى احسنت اليه بالنيشان المجيدي العليّ الشان طبقته الاولى وكان ذلك مدعاةً لعموم الفرح العظيم في الطائفة المارونية .

وسنة ١٨٤٥ حدثت حادثة مهمة في جنوبي لبنان نُكبت بها الطائفة ورُزئت ارزاءً جسيمة ، وكان غبطة صاحب الترجمة بكرسيه في الديمان على اهبة الاحتفال بعيد جسد الرب الموافق عامئذ ٢٢ ايار بان تقدم الى سرّ التوبة في اليوم السابق عازماً ان يقيم صباح ذلك العيد الشريف قداساً حبرياً لما انه وجد من صحته بلالا وفي امله اقبالاً ان تأتيه الانباء السارة من جهة الجنوب فحال دون ذلك ما لم يكن في المأمول وهو ورود الاخبار السيئة المشؤومة فأثّرت فيه غمّاً لا مزيد عليه وما لبث ان اصابه فالج شديد اعدمه الحركة والنطق ولم يمهله غير يومين اثنين حتى اجهز عليه قضاءً وقاضت روحه الطاهرة القدسية نهار السبت[2] الذي كان عزيزاً لديه ، وكثيراً ما كان يمارس فيه كل انواع الاماتات حباً لثوب سيدة الكرمل « عليها اشرف السلام » وهو الرابع والعشرون من شهر ايار . ومن الغد ٢٥ منه احتُفل لدفنه وهو اليوم الذي فيه أقيم بطريركاً على الطائفة المارنية . وفي بدء هذا الشهر نال نعمة سرّ العماد المقدس ، وفيه قصد مدرسة عين ورقة الزاهرة . وفي ١٥ منه صار كاهناً . وفي ١٥ منه صار اسقفاً . وفي ٣ منه اتشح بالدرع البابوي المؤذن بتثبيته بطريركاً . ويوم السبت في ٢٤ منه رقد بالرب كما ذكرنا . وهذا من

---

(١) ويعرف اليوم بالديمان العتيق .

(٢) جاء في سلسلة تاريخ البطاركة لقس طوبيا العنيسي الراهب الحلبي اللبناني المطبوعة في رومة سنة ١٩٢٧ ، ص ٦٧ : ان البطريرك يوسف حبيش توفي في ٢٣ ايار سنة ١٨٤٥ في دير الديمان الذي انشأه ودفن مجانباً للبطريرك يوحنا الحلو في ضريح واحد في كنيسة دير قنوبين. وفي تاريخ وفاة هذا البطريرك فرق يوم واحد بين رواية هذه الترجمة ورواية السلسلة المذكورة ، ونظن ان رواية الترجمة أصح .

لائقة . وبركات شهر بار المخصص لعبادة البتول مريم عليها اشرف التحية والسلام . اذ انه كان كاتباً محترماً متدهياً في عبادته على ما سنرى بيان في سياق الترجمة . فلا زالت له ولنا اجمعين اعظم ملاذ حصين وكرم ملجا امين في الدنيا والآخرة .

قلت . ولو شئت استيفاء الكلام على مناقب هذا البطريرك الكبير الشهير واستقصاء انبائه الخطيرة لملأت بها كتاباً تتداوله ايدي الخلف عن السلف احقاباً .

وكلمة الختام ان صاحب الترجمة كان آيةً من آيات الله في خلقه علماً وعملاً وحلماً واقداماً وتقيً ونهىً الى مزايا وسجايا أخرى جليلة فريدة بدر اجتماعها بسواد فسحان من سواه على مثال ما وصفناه به قصدنا رحمه الله ونفعنا بعتاده وأحرادنا كما نفعنا بأولاده وذياده .

هذا ما تلقيته وتلقنته عن معاصريه الموفور شرفهم وصدقهم كالسعيد الذكر مولاي السيد بولس مسعد بطريركنا السابق وغبطة بطريركنا المتفضال السيد يوحنا بطرس الحاج السامي الشرف والطوبى وغيره ممن طار اسمهم الكريم في طائفتنا وطنّ على الاسماع في اصقاع سورية .

وهذه بعض منظومات في رثاء البطريرك المترجم له ووصف مناقبه تشتيتاً حسب وروده

قال حضرة الاب الجليل الفاضل الخوري يوحنا الحلو
مؤرخاً سنة انتقاله الى دار البقاء

فضل الكرام ولو تقادم عهدهُ ... يدنو باثار المكارم بُعدهُ
تأريخهم يحلو الكروب وذكرهم ... يحلو لقارئه ويعذب نَدّهُ
والعصر يبقى بالنبيل . ولو خلا ... اذ ان تأريخ الزمان يودّهُ
لا يُمحى عصر به نبل الأولى ... سادوا به فبهم يجدّد عدّهُ
ويظلّ يفخر بالكرام تعلّة ... والفخر بالكرماء صاف وردهُ
أفما ترى التأريخ يحلو نشره ... بالطيّب الذكر المثلّث حمدهُ
هو يوسف الحبر الحبيشي الذي ... يحيا مدى الأجيال طرًّا مجدهُ
مَن غادر الدنيا وخلّف بعده ... أثر الحماسة والقداسة جدّهُ
قد طال ما بذل العناية قاصدًا ... خيرًا لشعب جلّ فيه قصدهُ

صحّى بـــه جلّ الحياة محمّدٌ ... بنجاحـــه وحبّ يصعب حدّهُ
لا ينثني عن عزمـــه متنهّدًا ... حتى يصول على اعب فريدهُ
فيموت مسرورًا لدى محبوبه ... لكن يعيش عن سُنيّة جدّهُ
كالبطرك الشهم المبجّل يوسف ... فحياتـــه عن قومه هي رفدهُ
قـــد جاء بالنفس النقيّة عندما ... أدمى بهم سيفُ العدو وحقدهُ
فعسى الله العزّ يرضى عنهم ... بنى ابيهم كالزكاة بعـــدّهُ

...

اسني عليه وان تصبّب بعده ... للدهر انصار العليّ وجـــدهُ
اسنًا على حسناته طول المدى ... اسنًا على ذا البحر يرخر مدّهُ
تبكي الدهور مآثرًا عصمت به ... حلّى هـــ أثرًا بعين فقدهُ
تبكي العدالة والتعطّـــانة والسخا ... عـــة والنقاوة من طواه لحدهُ
تبكي الفصاحة والحصافة والذكا ... من جلّ في حلّ المشاكل رشدهُ
اين المروءة اين غيرة بأسه ... اين العناية اين يُطوى جهدهُ
اسني عليها تنطوي تحت الثرى ... اسفًا على الصمصام ينبو حدّهُ

...

يا آل مارون اندبوا طول المدى ... حبرًا تحبّر بالطبـــارة مهدهُ
قد كان في خير العموم هذيذه ... والخير يذكر ان تعمّم مدّهُ
فبسعيه تمّت منافع مار عبدا ... حيث اضحى العلم يقطر شهدهُ
اذ ردّ ذاك الدير مدرسةً سمت ... بالهمّة العليـــا فبورك جدّهُ
وكذاك في ريفون حوّل مثله ... للعلم مهدًا طاب فيـــه وردهُ
ولرسلي لبنـــان خصّص منتدًى ... في عين طورا دام يلمع زندهُ
فينير من غشّى الضلال عقولهم ... ويثير حبّ الله فينـــا وفدهُ
شكرًا لهمة يوسف الحبر الذي ... أحيـــا المدارس والرسالة كدّهُ
ذا بعض خيرياته وقليلهـــا ... أمّا الكثير فليس يسهل عدّهُ
فكفى بشهرة فضلـــه تأريخه ... حبر تقدّس بالعظائم حـــدّهُ

سنة ١٨٤٥

وقال حضرة الاب الجليل الفاضل الخوري يوحنا السعلي المرسل السرياني لماروني ويها خمسة تواريخ تراها وهي في كل بيت تأريخ من ابياتها الخمسة الاخيرة

ايـا لبنان ما لك صرت قفرا ... وفوق رباك أحنى الارز ظهرا
مضى مَن شدَّ ارز الارز فخرًا ... مضى فمن يشدّ الارز أزرا
مضى علم السيادة ليت شعري ... أيمضي والسيادة لا تُذرَّى
مضى والعنش بارّى العرش حتى ... رأينا العنش فات النعش فخرا
بكى عرش الرئاسة بطريركًا ... حبيتياً بكاه الناس طرًّا
اذا ضاقت صدور بني حُبيش ... فلا عجب فكلّ ضاق صدرا
فضاق الكل صدرا حين عمّت ... مناحة يوسف مصرٌ فمصرا
كيوسف مات يوسف وأبقى ... مآثره ليوم النشر نشر
كيوسف مات يوسف فوق عرش ... نضمّ القبر بعد العرش درًّا
فعاش وكل قلب كان عرشاً ... ومات وكلّ قلب صار قبرا
وعاش وقد سألنا البحر درًّا ... فقال البحر ان الخير احرى
ومات وقد سألنا البحر غمرًا ... فقال البحر ان الدمع ادرى
فعاش ومات وهو احرّ ساع ... سعى ورعى وعاش ومات حرًّا
سعى ورعى وعين الله ترعى ... مساعي حزمه برًّا وبحرا
كنيسته سفينة نوح ناحت ... وساحت فوق غمر الدمع سكرى
اذا بكت الكنيسة وهي شمطا ... بكت مَن كان للايمان صخرا
بكته وهو افضل من بكاه ... بنو مارونه عصرًا فعصرا

...

وافخرُ مَن كما مارونَ عزًّا ... وأعظم من وقى لبنان ضرًّا
وافضل فاضل سرًّا وجهرًا ... واعجب معجب خبرا وخُبرا
وايمن رافع لليمن يُمنى ... وايسر باسط لليسر يسرى
واغرب قارن ديناً بدنيا ... واشهر ناشر حكماً وبرًّا
واحذق مرشد عملاً وعلماً ... واصدق منجد عسرًا ويسرا
واعجب جامع دعةً وبأساً ... وانفذ سائد نهياً وامرا
فقال وصال وهو اشد بأساً ... وأثبت مَن اذا ما قال اجرى
وساد وساس وهو أشد رأياً ... واوفر حكمةً وأحدّ فكرا
انار بنيه في الدارين حتى ... رآه بنوه في الدارين بدرا

ألا أحل وفصّل في المزايا　　فكلّ مريّة في الخبر عبر
اناخ ركابها وهي استناخت　　على ابوابه العلياء تترى
اتته وهي تعلو اللسن وصفاً　　وتأبى ان اردت الحصر حصرا
تجوّدها وحاد بها فاجدى　　رعيته هدىً وتقىً وبشرا
وتأييداً وتوطيداً ومجداً　　وعيشاً ناعماً وحلماً جرّا
وأولى الدين والدنيا حياةً　　وجند الدين تأييداً ونصرا
وسام الترّهات ومن اتاها از　　تياكاً ثم رذلاً ثم قهرا
وعطر كلّ ناحية بذكر　　حميد ظلّ للاجيال ذخرا
وأورث دير قنّوبين حسماً　　توارى حيث وارى الترب تبرا
وأسكن جنّة الابكار نفساً　　تذوق الشمس في الأعلاك صبرا
وابكى الناس في التاريخ طرّاً　　وأخف سيّد الوزنات عشرا
فنادى الله في التاريخ جهراً　　اليه الخمس حاك وحاك آخرى
وربّ مؤرّخيه قال حالاً　　على المال الكثير امنت دهرا
فانك زدت في التاريخ امناً　　لذلك زدت عند الرب اجرا
بيوم ثالث أرّخ وعشرين　　جاد بما طوى ايّار ذكرا

استلال

بكى عرش الرئاسة بطريركا　　حبيشياً بكاه الناس طرّا
كيوسف مات يوسفنا وأبقى　　مآثره ليوم النشر نشرا
وأورث دير قنّوبين جسماً　　توارى حيث وارى الترب تبرا
وأسكن جنّة الابرار نفساً　　وأوفى سيد الوزنات عشرا
بيوم ثالث أرّخ وعشرين م　　من أيّار أوفى العشر عشرا

في ٢٣ ايار　　سنة ١٨٤٥

وقال بولس افندي زين محرر جريدة «الارز» يرثي المخلّد الذكر البطريرك المشار اليه وقد وقف على طبع ترجمته في مطبعة الجريدة المذكورة

ألا أيها المغرور فيما تحاوله　　بقاءً من الايام أعياك نائله
قضت سنّة الدهر المنيخ على الورى　　بكلكلكه ان لا تكلّ عواملة
تسوق حديث الأولين فنثني　　باحزان خطب جلّ في الناس هائله

ذكرى مصاب السالفين سيّد ... فصائد داعت وغنّت فواصله
معينُ مسغ طبّق الارض ذكرها ... وبحر هبات ليس يدرك ساحله
هو الطريك الفردُ يوسف عصره ... وما كلّ حبر عزّ فينا مماثله
إمام بني مارون كم سنّ بينهم ... مناهج حقّ ليس تحتى دلائله
وكم شاد للدين الصحيح معاقلاً ... بلبنان لا يقوى عليها مقاتله
وكم قارع العاوين رأياً وحجّةً ... فافحمهم إفحام فدم يخاذله
وكم انقذ المظلوم من شرّ ظالم ... وبُلاه ما ابقت عليه عوائله
يحدّث اهل الشرق عن مكرماته ... وسيّان مصغٍ للحديث وناقله

فيا رحمة الله مهما له ... سواك به عيت بعاديه وابله
عهدناه براً بالرعيّة عاطفاً ... عليهم عطفاً كانفته وسائله
حفا حوضِ ذكراه ثناءٌ لناهل ... فأعظم به حبراً ترقى مناهله
وقد جلّ اعمالاً كما جل مجتدًا ... وذو الشرف الموروث تعلو شمائله
لآل حبيش بالذي قد رثيته ... فخار على الأيام تبقى جلائله
فآجله في جدة المجد ينجلي ... كما كان يُجلى اول العهد عاجله
مدحتُ بني الدنيا بترك اساءة ... على ان مَن ارثي رثيته فشائله
فيا راحلاً ابقى لنا كلّ صالح ... اواخره طابت به واوائله
لقد قلتُ ما معشار قدرك فوقه ... فما مبلغي والشعر اجدب قائله

(يتبع)

الفوائد الطبية

بقلم

الاب انطونيوس شبلي السناني

تصدير

لقد قيل . ان الانسان انانيّ بطبعه . نزّاع الى محبة نفسه . فهي ان يحب على بني جنسه . وهو مولع بالحياة حريص على اسباب اطالتها . يبذل قصارى جهده في طلب الوسائل التي تلذه وتسرّه واقتناء الاسباب التي تضرّه . واول ما يرقى فكره الى اكتساب كل بهج فاتن تفتح عينه عليه فيشد الرحيل اليه . ويودّ الاّ يفارقه لئلا يغتمّ ويحمل الهمّ . وهو ميّال الى سعة العيش ولذاذته فيضرب في عرض الدنيا خائضاً المخاطر مقارعاً المصائب في سبيل صفائه وهنائه مجتنباً بقدر استطاعته كل ما يتعب نفسه ويضني جسمه .

والمرء مفتون بصحته وعافيته يستمرئ مذاقها ويحرص على استقرار سلامتها وينتبه الى الابتعاد عمّا يعكّر صفاءها ويشرّد نقاءها . فاننا نرى المثري والمتوسط الحال ينضي الركاب الى البلاد الشاسعة تتلقّفه ايدي الاسفار وتتقاذفه انواء الاخطار تفتيشاً عن الدرهم ليرمّق به عيشه ويحفظ عافيته . في فصل الصيف يقصد الجبال هرباً من شدة الحرّ ممتعاً فكره وبصره بمشاهد الطبيعة الفاتنة متنعمًا بالنسيم العليل والماء السلسبيل لابساً ما ثقل وخفّ من الثياب هانئاً بالعيش الرحراح ، عاكفاً على ارتياد مجالس اللهو والافراح غارقاً في لجّة من الدعة والترف . وفي الشتاء يهبط الى السواحل فارًّا من سماع قصف الرعود وزمجرة العواصف التي ترددها بطون الأودية ولفحات القرّ . عامداً على التدثّر بالاثواب الصوفية مجتنباً اذى البرد لاجئاً الى النار لتدفئة — والنار فاكهة الشتاء — مستمرئاً اطيب المآكل وافخر المشارب حتى اذا ألمّ به ألم خفيف اسرع الى الطبيب كاشفاً له عن حاله مستعيناً بخبرته على دفع الأذى . وهو لا يزال يعلّل النفس بالعمر المديد مهتمًا بنموّ المكاسب في حرفته او تجارته خائفاً جفاف موارده وافتراط عقد رفاهه ؛ وحيثما طاب المناخ ورقّ الهواء وصفّت السماء فهناك آثار كل متجع للعافية . قال الشاعر :

ولن تصادف مرعىً ممرعاً ابداً الاّ وجدتَ بـــه آثار منتجع

والصحة هي منحة من الخالق يتعشقها المرء بقوله وفعله ؛ وكنز لا يستعاض عنه ببدل مهما سما وثمن ؛ وانه يستذرع بكل الوسائط ليظل مالكاً ناصيـــة العافية . فيتناول أمرَّ دواء اذا قال له الطبيب ان فيه الشفاء فاذا تخلّص ظل الداء غلبت عليه نشوة السرور وسرّي عنه بتمتعه بربيع الصحة التي يشدها بلسان حاله مردداً قول الشاعر :

أحـــك رغم عبوس الحياة وصمت الفنا وابتسام الخلود
فأنت بياض الاماني وحلم السماء ومعنى جمـــال الوجود

ومن المحال ان يصفو عيش المرء زمناً طويلاً ولا تتخلله كدرة . قال الشاعر :

ومن عاش في الدنيا فلا بدّ ان يرى من العيش ما يصفو وما يتكدّرُ

ومهما سعى ورعى وجدّ وكدّ وهنأ ورغد لا يفوته العلم بانه وهو راقد في ليل الشباب ايقظه صبح المشيب .

ومن الناس قوم اذا اكلوا لغّوا وان شربوا اشتغّوا وكل ذلك مجلبة للسقم وورد في المثل : راحة الجسم في قلة الطعام ؛ وراحة القلب في قلة الاهتمام ؛ وراحة اللسان في قلة الكلام .

ان الذي يعرك البدن وينزل به الوهن هو الجشع والتهافت على القصاع وامتلاء المعدة ولا ينهض البطين عن الخوان حتى تأخذه الكظة والتخمة . قال سواد الدين الشيباني :

توقّ الامتلاء وعدّ عنـــه وادخال الطعام على الطعام
ولا تشرب عقيب الأكل ماءً فتسلم من مضرّات عظـــام

وسلامة الجسم تتطلّب من الانسان ان يكون قنوعاً معتدلاً في طعامه وشرابه ؛ لا نهمًا لحماً قرماً الى اللحم رغيب البطن واسع الجوف . وقال المثل : ان البطنة تُذهب بالفطنة . وقالت العرب : المعدة هي بيت الداء والحمية رأس الشفاء . قال الشاعر :

كم دخلت أكلة حشا شره فأخرجت روحه من الجسد .
لا بارك الله في الطعام اذا كان هـــلاك النفوس بالمعد

وقال البستي :

كلْ قليلاً تعشْ طويلاً وسلمْ　　من عوادي الاسقام والادواء
انما يغتذي الكريمُ ليبقى　　وبقاء الدنيء للاغتذاء

اما اذا قرع الباب وارف الرحيل فلا يستطيع الطبيب تأجيل العليل مهما اظهر من البراعة والمهارة في طبه كما قال الشاعر :

ان الطبيب له في الداء مخبرة　　ما زال في أجل الانسان تأخير
أما المريض فان جاءت منيته　　حار الطبيب وخانته العقاقيرُ

واذا اشتدت الضيقة على المريض فلا ينبغي ان ييأس : فلا بد ان تنفرج كربته وتزول غمته ويستعيد هناءته . لان لكل ليل صباحاً ولكل باب معلق مفتاحاً . قال الشاعر :

لكل ليلٍ صباح نستضيء به　　فلا تدوم علينا ظلمة الغسق
لا ييأسنّ مريض من سلامته　　ما دام في جسمه شيء من الرمق

والمريض يتعشى ببسمة الطبيب وتشرق اسارير وجهه راجياً الشفاء على يده . والعافية هي افضل ثوب يلبسه ولكن لا ينبغي ان يغترّ بها لانها عارية وسيأتي وقت يخليها عنه مكرهاً . قال الشاعر :

يا ابن ادم لا تغرنك عافيةٌ　　عليك شاملةٌ فالعمر محدودُ
ما انت الا كزرع عند خضرته　　بكل شيء من الآفات مقصودُ
فان سلمتَ من الآفات اجمعها　　فانت عند كمال الامر محسودُ

وما زال القلب ينبض بالحياة فالمريض يؤمل الشفاء بالدواء فيفتش عنه ويبذل ثمنه عن سخاء وطيبة نفس . والطبابة من المهن الشريفة المستوجبة الكرامة ، جاء في الكتاب المقدس : « اعط الطبيب كرامته » . « وعلم الطب موضوعه بدن الانسان الذي هو اشرف الكائنات الثلاثة اعني الجماد والنبات والحيوان ؛ ولهذا اجمعت الامم والملل والمذاهب والنحل واتفقت الكلم والشهادات من سائر اصناف المخلوقات بالقياسات الصحيحة السليمة والتجاريب المستمرة المستديمة على فضل صناعة الطبّ وجلالتها وعلوّ مرتبتها وفخامتها[1] ... »

١) من مقدمة الجزء الاول من كتاب « وسائل الابتهاج في الطب الباطني والعلاج » للدكتور سالم سالم بك ، استاذ علم الامراض الباطنية بالمدرسة الطبية المصرية . مطبعة وادي النيل المصرية سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) ٥٣٥ صفحة .

ـ كثيرين من العامة وخاصة مغرمون بالوصفات الطبية العربية لاعتقادهم انها اذا لم تنفع فلا تضرّ . وأغلب الاطباء يعودون اليوم الى دراسة الطب العربي القديم وينقّبون عن كتبه المخطوطة ليبتاعوها .

وفي مكتبتي التي نقلتها من دير سيدة ميفوق الى دير سيدة المعونات في حبيل . عدة كتب طبيّة مخطوطة منها كتاب بدون عنوان مكتوب على ورق عادي سميك بالحرف السرياني ـ الكرشوني المنقوط بالعربي : بالحبر الاسود وعناوينه بالحبر الاحمر . في اكثر من ٤٠٠ صفحة . طوله ١٦ سنتيمتراً وعرض ١٠ سنتيمترات مجلّد بجلد مائل قليلاً الى الاحمرار . يحتوي وصفات طبية مشروحة لشرح امراض . قريبة منال سهلة الاستعمال ذات فوائد ونتائج معتبرة . وحبيب ان نشترها تباعاً متلاحقة متواصلة في صفحات مجلة « المشرق » اليسوعية . تركيناها على صيغتها وبنصها الاصلي لتفهمها العامة بداهةً واصغينا لها هذا العنوان : « الفوائد الطبية » .

وسبق لنا ان اذعنا شيئاً من ذلك في المجلة المذكورة : فكتب الينا اكثر من واحد يطلب منا نسخاً من هذه الوصفات المنشورة . وفي حوزتنا منها اكثر من الفين صفحة طبية بخط يدنا لم تدرج بعد الى عالم النور : وقد جمعناها من كتب خطية ومن افواه الذين امتحنوا هذه الوصفات فصحّت معهم وذلك اثناء جولتنا سنين عديدة في المدن والقرى لالقاء الرياضات الروحية . وان فهرس هذا الكتاب الذي نحن بصدده : على الحروف الابجدية وقد قسمنا مضامينه الى ابواب . فنرجو ان يقع عند مطالعيه ومتحنيه موقع الرضى والقبول . والله من وراء النيات وهو بذات الصدور عليم .

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

المقدمة

[القول] والله الموفّق الى الصواب

اعلم ان اول ما خلق الله طبيعة الحرارة . واصلها من الحركة الكونية التي هي قدرة الله تعالى وعلة العلل في الاشياء كلها . ثم خلق الله طبيعة البرودة واصلها من السكون الكونيّ الذي هو قدرة الله . ثم تحرك الحارّ على البارد بسرعة . أودع الله فيه من الحركة المذكورة ؛ فامتزج من الحرارة البرودة ؛ ومن البرودة الرطوبة ؛ فكانت اربع طبائع مفردات في جسم واحد روحانيّ ؛ وهو اول مزاج بسيط . ثم صعدت الحرارة بالرطوبة . فخلق الله فيها طبيعة الحياة . والافلاك العلويات . وهبطت البرودة مع اليبوسة الى اسفل ؛ فخلق الله منها طبيعة الموت ؛ والافلاك والسفليّات . ثم افترت اجسام الموت الى روحيها التي صعدت عنها ؛ فأدار الله الفلك على دورة ثانية . فأمزجت الحرارة بالرطوبة والرطوبة باليبوسة ، فتولّدت العناصر الاربعة ؛ وذلك انه حصل من إمزاج الحرارة مع اليبوسة عنصر النار . وحصل من امزاج البرودة والحرارة مع الرطوبة عنصر الهواء . وحصل من امزاج البرودة مع اليبوسة عنصر الارض . فهذه امزجة العناصر . وهو مركّب من المعدن . فهو اول المركّبات الثلاثة . ثم ادار الله الفلك الاعلى عن الاسفل دورةً [١] ثالثة ، فتولّد النبات والحيوان البهيميّ . ثم ادار الفلك الاعلى على الاسفل دورةً رابعةً ؛ فتولّد الحيوان الناطق الانساني . وهو آخر المركّبات وأحسنها وأكملها تركيباً . وهو غرضنا لما نحن في صدده من هذا العلم الطبيعي .

القسم الاول

الفصل الاول

في اختلاف واختلاط الطبائع الاربع

الاول : الصفراء . وهو حارّ يابس ؛ اصله متولّد من عنصر النار الطبيعي . ومسكنه من الانسان المرارة .

الثاني : الدم . وهو حارّ رطب . اصله متولّد من عنصر الهواء الطبيعي . ومسكنه من الانسان الكبد .

الثالث : خلط البلغم . وهو بارد رطب . اصله متولّد من عنصر الماء الطبيعي . ومسكنه من الانسان الرئة .

الرابع السوداء . وهو بارد يابس . واصله متولّد من عنصر الارض الطبيعي . ومسكنه من الانسان الطحال . فهذه الاخلاط الاربعة . قوام البدن ومنها صلاحه وفساده .

اعلم ان المزاج الطبيعي لم يقع الاّ في افراد بعض الابدان . مستوياً على اعتدال . ولكنه اختلف بالحرارة . وزاد بعضه بالبرودة مع الرطوبة واليبوسة . فانقسم الى خمسة اجزاء امزجة :

الاول . الصفراوي . وهو الذي كثر فيه الحر مع اليبس . وقلت فيه البرودة والرطوبة . وعلامة صاحبه انه سريع الحركات في جميع الاحوال . ولافساد والسخاسة . وجودة الفهم . وعافية الجسم . وقلة[٢] النوم واذا كانت حرارة اكثر من اليبوسة . كان لونه احمر . واذ كانت اليبوسة به اكثر من الحرارة . كان ادمي اللون مشرباً بحمرة واذا استويا فيه . كان اصفر اللون .

الثاني : الدمويّ . وهو الذي كثرت فيه الحرارة مع الرطوبة . وقلّ فيه البرد واليبس . وعلامة صاحبه انه يكون معتدل البدن كثير الشحم والدم . طيّب النفس : حسن الاخلاق : متوسط الفهم . واذا كانت الحرارة فيه اكثر من الرطوبة : كان اصفر اللون . واذا كانت الرطوبة اكثر من الحرارة . كان ابيض اللون مشرباً بحمرة . واذا ما استويا فيه كان اشقر اللون . وهو الذي بين البياض والحمرة .

الثالث : البلغمي . وهو الذي كثرت فيه البرودة والرطوبة . وقلّت فيه الحرارة واليبوسة . وعلامة صاحبه انه يكون معتدل البدن : كثير الشحم والنوم والرطوبات : كسلاناً بطيء الحركات : بليد الفهم : كثير النسيان : لا يكاد يحفظ شيئاً . واذا كانت البرودة فيه اكثر من الرطوبة : كان ابيض اللون حنطياً . واذا كانت الرطوبة اكثر : كان ناصع اللون قريباً من البرص . واذا استويا فيه : كان رصاصيّ اللون .

الرابع . السوداويّ . وهو الذي كثر فيه البرد مع اليبس : وقلّت فيه الحرارة والرطوبة . وعلامة صاحبه انه يكون نحيل البدن . كثير الكد : قليل النوم : لا صبر له على الجهاد (٣) وفيه ضرر عظيم . واذا كان البرد فيه اكثر من اليبس ، كان كمد اللون . وان كان اليبس فيه اكثر من البرد ، كان احمر اللون . واذا استويا فيه : كان رصاصيّ اللون .

خامس . المعتدل . وهو الذي اعتدلت طبائعه في ميزان العمل والطبيعة عند المزاج . وعلامة صاحبه انه يكون ذكيّ الفهم . معتدل الاعضاء في خلقته . متوسط الحالات في جميع اموره ؛ شديد النظر بين البطيء والسريع . والشجاع والجبان . حسن الاخلاق . متوسط الهيئات في جميع اموره . والله اعلم .

ثم اعلم ان الغذاءة قوام البدن ومنها فساده . وهذا التعل معلّم مفيد لا يستغني عنه معلم عاقل ؛ وذلك ان الغذاء اذا انهضم وتصرّف في جميع الآلات ؛ التبست الطبيعة واستدعت بالأكل ؛ وذلك هو الجوع المعروف . فاذا لم يحصل لها مادة تعطف على الرطوبة الأصلية وتأكلها ، فاذا انتفعت اطفأت الحرارة الغريزية وكان ذلك سبباً للهلاك . وان حصلت المادة بالغذاء قطعت قوى ذه الانسان الحادث على قدر ما تقتدر عليه الطبيعة . وحركت اللسان الذي جعله الله معرفةً للطعام . ومن جملة النوع انه ترجمان الكلام وقلبه يميناً وشمالاً الى الاضراس فتطحنه . فان كان يابساً ؛ فقد خلق الله له تحت اللسان تهزيزين خاليين منها ادام (كذا) فلاك الطعام ثم يدفعه اذا جاد مضغه الى الغلصم ؛ وتدفعه الغلصمة الى المدي [٤] وهو فم المعدة الأعلى . لان المعدة كاللفّ المستدير لها عنق وجوف . فاذا نزل الطعام الى جوفها قليلاً قليلاً وامتلأت منه ؛ فهو الشبع المعروف . وقد خلق الله في اسفل المعدة . خرقاً : فينضمّ الخرق حين الشبع انضماماً شديداً وتكثر الحرارة ويضمحل الغذاء وتتلطّف بواسطة الرطوبة فينهضم وينزل من ذلك الخرق قليلاً قليلاً عن (الى) الامعاء ؛ ومتى قلّت الرطوبة في المعدة بقي الطعام فيها يابساً مع كثرة الحرارة فتلتهب الطبيعة ثم تستدعي بالماء ؛ وهو العطش المعروف . فاذا لم يحصل الماء وتشفّت الحرارة جميع الرطوبات الأصلية كانت سبباً للهلاك . وان حصلت مادة الماء عمّلت الطبيعة بواسطة الرطوبة ؛ فينهضم باقي ذلك الطعام كله الى الامعاء . وهو ماء لطيف ابيض . ثم تدفعه بافواه هلال الكبد ؛ وهي لحمة حمراء على اليمين من تحت القلب ؛ فيطبخه الكبد طبخاً ثالثاً فيصير دماً مختلفاً على اربعة اصناف :

الصنف الاول . رغوة صفراوية خلق الله لها المرارة ؛ وهي كيس معترض بين الكبد والمعدة له فم متصل بالكبد يمتص من هذه الرغوة ويدفعها في اوقاتها : فيعين المعدة على الهضم بكثرة الحرارة .

الصنف الثاني . فضلة سوداوية ودم معتكر ؛ قد خلق الله له الطحال [٥] . وهو جراب له ثلاثة ابواب . احدها الكبد الذي يمتص منه هذه الفضلة

ويدفع منها كل حين شيئاً الى المعدة بالفم الثاني فيعينها بحمضه وفيضه على جودة الهضم وتقيتها . والفم الثالث متصل بالمرة فيدفع اليها ما يبقى من هذه الفضلة فيمزج مع الفائض .

الصنف الثالث . فضلة ومادة بيضاء . قد خلق الله لها الكلى فتصفيها عن الكبد . فيكون منها مادة الكلى . والباقي الى الثاني فتدفعه الطبيعة خارج البول المعروف .

الصنف الرابع . هو الغذاء الخالص . فمتى بقي من هذه الفضلات شيئاً . فقد خلق الله لها عرقاً كبيراً حذاء الكبد من اعلى ؛ يمتص الخالص من الغذاء قليلاً قليلاً . ثم يمر به ساعة . ثم ينقسم الى عرقين احدهما يصعد الى اعلى حتى ويفترش عروقاً كثيرة صغيرة وكبيرة . والثاني يهبط الى اسفل البدن ويفترش ايضاً عروقاً صغيرة وكبيرة . فيشرب كل عرق نقطة صغيرة ؛ صغيراً كان ام كبيراً ؛ فيكون من ذلك مادة اللحم والدم . وقوام البدن وثبات الروح فيه الى الأجل المحتوم . فان كان الغذاء معتدلاً صحيحاً ؛ كان منه صحة البدن ؛ وتبخرت به الطبيعة بخاراً يصعد الى الدماغ والى جميع البدن بصحة ؛ فلا يزال صحيحاً . وان زاد بعض الاختلاط غلب اكثر الزيادة من تلك الطبيعة ؛ كما نذكره على انفراد [٦] .

زيادة خلط الصفراء

اذا اكثر الانسان من أكل الاغذية الصفراوية الحارة اليابسة ؛ كالعسل والنوم ولحوم الكباش وكل ما كان حاراً يابساً ؛ يخرط الطبيعة من الجوف الى الدماغ بخار صفراوي غير معتدل . فيحصل حينئذ صداع وشقيقة في الرأس وقلة النوم وشدة قبض العروق وحرارة اللمس . فان عدّله الانسان بتضمد الصداع في الصداع ، وأكل كل بارد رطب واجتنب اليابس ؛ اعتدل سريعاً . وان تساهل حتى كثر وازداد الى امراض خطرة عظيمة كالحمرة والحرارة والربقان الأصفر والاورام الصلبة وحمّى الغبّ . فحينئذ يحتاج الى مسهل الصفراء ؛ وسنذكره في محله .

زيادة خلط الدم

اذا اكثر الانسان من الأغذية الدموية الحارة الرطبة ؛ حاجت في البدن وكثر الدم فيتبخّر الدماغ ببخار حارّ رطب فيقع الصداع وعظّم (وانتفاخ) العروق وغليان الحرارة وانطباخ البدن وفترة (وفتور) الحواس . فان قطع ذلك بضمد الصداع وشرب الخل والرمان وأكل الحوامض المضيضة كالمزورات

ونحوها : وقع الاعتدال وصحّ البدن . وان تساهل الانسان . وقع في الامراض الخطرة كغليان الدم وحمرة العينين ، والرمد ، والجدري ، والدمامل والاورام الرخوة ، فحينئذ يحتاج الفصد والحجابة (والحجامة) .

زيادة خلط البلغم

اذا اكثر الانسان من الاغذية البلغمية كالبن والخراكي [٧] وكل بارد رطب ، فينتج من ذلك فتور (فتور) في الجسم ورخاوة في المفاصل وثقيل في الحواس . ويبدأ مرض البلغم . اذا أكثر الانسان من الاغذية البلغمية . وقطع ذلك بما يعدّها كالعسل والزنجبيل والفلفل وكل حارّ يابس لطيف ، وقع فيه الاعتدال وحصلت الصحة . وان وقع التساهل . زاد ذلك الخلط وصار الى امراض مزمنة عسرة البرء . كالدوص والفالج واللكزة والحمّى المطبقة . وهي التي تطبق سبعة ايام بغير مرارة . ثم تهيج بحرارة عظيمة من الجوف الى الدماغ والى جميع البدن ، وهو البحران المعروف . فحينئذ يقع الهلاك . واكثر الناس تهلك . فاذا ظهر احد بهذه الخصال فينبغي ان يشرب مسهل البلغم . وسنذكره ان شاء الله .

زيادة خلط السوداء

اذا اكثر الانسان من أكل الاغذية السوداوية كالعدس والدخن ولحم البقر والباذنجان ونحو ذلك ، هاجت السوداء فيه وبدأ المرض السوداوي بفتور في البدن وشدة عطش وقلة نوم . فان عدّله بشرب الشراب العسلي : وهو ان ينزع رغوة العسل ويطرح (ويلقي) في كل رطل ماء درهم زنجبيل ودرهم فلفل ودرهم مستكي مدقوقين . ثم يشرب . ويشرب لبن البقر مع السكر من تحت الضرع ويأكل كل حار رطب خفيف ، فانه يخلص . وان تساهل بذلك صار الى امراض خطرة مزمنة عسرة البرء ، كالجذام والجرب [٨] والحكاك والفالج واللكزة والدُقّ (حمّى الدقّ) والسل وحمّى الربع ، وهي التي تغب يومين وتنتاب يوماً ولا تكاد تنقطع . فحينئذ ينبغي ان يشرب مسهل السوداء . وسنذكره ان شاء الله .

في معرفة علامات النبض

ان نبض الحمّى الصفراوية ، يكون قوياً على قدر الاسلوب ولا يتغير . ويكون صاحبه اصفر مائلاً الى الخضرة .

وان كان عن عفونة دم يكون في الراس وجع خفيّ ودموع في العينين ، ويكون النبض جخراً سريع الدق .

وان كان النبض يدقّ دقاً رفيعاً : يكون في صاحبه ارياح في مفاصله .
وان كان النبض يضرب على طول : يكون وجع في معدته وقرحة في امعائه .

واما النبض الذي يكون في احكام السوداء . فمتى وضعت يدك على العرق فتجده يدقّ بهدوء . وصاحبه يبرد ويسعل . وبه ضيق نَفَس وضيق صدر .

اما نبض البلغميّ البارد . فيكون غليظاً ودقّته هادئة ؛ ويكون صاحبه شديد البلغم . وتكون يده ملمسة ؛ ويكون له شرش في محامي حنبه . وفي اسفل الشرش مثل حبة العنب .

اما نبض الاصحّاء فهو مستقيم ان كان قوياً او كان ضعيفاً ، رفيعاً كان او غليظاً . على قدر قوة الانسان

وقال آخرون : اذا رأيت العرق سريع الحركة . فهو من علامات كثرة الدم ؛ وان كان سريع الحركة وهو دقيق [٩] . فذاك من علامات الصفراء . وان كان بطيء الحركة ؛ فهو من علامات السوداء . وان كان يتحرك وهو غليظ قوي ، ثم يبطئ ساعةً ثم يتحرك . فذاك من علامات البلغم والرطوبة . وان كان يتحرك ثم ينصرف من تلك الحركة سريعاً ثم يقف ساعةً بعد الانصراف فذاك من علامات الموت .

وان رأيت العرق الوسطاني (المتوسط) يتحرك وكان لا دقيقاً ولا غليظاً : ولا سريعاً ولا واقفاً ؛ فذاك من علامات العافية .

علامة نبض الحامل

اذا كان النبض في اليدين مختلفاً ؛ اي ان الواحد بطيء والآخر سريع ورفيع ؛ تكون الامرأة حاملاً . وان متساوياً فلا . وان كان النبض السريع الرفيع في اليد اليمنى ؛ يكون الجنين ذكراً . وان كان في اليد اليسرى ؛ يكون الجنين أنثى .

في العلامات الدالة على موت العليل

١ً — قال ابقراط : اذا كان في وجه المريض ورم لا يوجد له مسّ ؛ وكانت يده اليسرى على صدره غالباً ؛ اعلم انه يموت بعد ثلاث وعشرين ليلة من ظهور تلك العلامة ؛ ولا سيما اذا كان في اول مرضه يحك في منخريه ويدخل اصبعه في احدهما .

٢ً — واذا كان في ركبتي المريض امراض شديدة وعرَق زائد في بدنه مع ذلك ، فانه يموت بعد ثمانية ايام من بدء ذلك فيه .

٣ً — واذا ظهر على العروق التي في الرقبة التي تولّد السرم . بثرة . اي بزرة صغيرة غبرة (عمراء) لون : فانه يموت بعد اثنين وعشرين [١٠] يوماً من ظهورها . او من اليوم الذي مرض فيه . وعلامة ذلك ايضاً انه يعطش عطشاً شديداً .

٤ً — اذا كان في لسانه بثرة مثل الدبّان على بدن الكلب او كحكّة الخروج ؛ فانه يموت من يومه ؛ ويكون هذا المريض في ابتداء مرضه مشتهياً الاشياء بطبعها .

٥ً — اذا كان على بعض الاصابع بثرة صغيرة سوداء تشبه الحبة الخشنة او الخضراء . فانه يموت بعد يومين من ظهورها . لا سيما اذا كان في مدة مرضه ثقيل اليدين قليل الحس بهما

٦ً — واذا كان على ابهام اليد اليسرى او الرجل اليسرى . بثرة قد ظهرت يسيرة جاسية بقدر حبة الفولة كمدة اللون لا توجعه . فانه يموت بعد ستة ايام من ظهورها . وعلامة ذلك انه يختلف في اول مرضه اختلافاً كثيراً مفرطاً .

٧ً — واذا ظهرت في الاصبع الاوسط من الرجل اليمنى ؛ بثرة صغيرة لونها كلون جلاء الصياغة وهو الطرطير ؛ فان صاحبها يموت بعد اثنين وعشرين يوماً من ظهورها . وعلامة ذلك انه يكون شديد الشهوة الى الاشياء الحريفة من اول مرضه الى آخره .

٨ً — اذا كانت اظافير المريض كمدة اللون الى الزرقة ولا سيما الاصابع وظهرت في الجبهة بثرة دموية ؛ فان صاحبها يموت بعد اربعة ايام . وعلامة ذلك انه يكون شديد العطش ليلاً ونهاراً .

٩ً — اذا كان في ابهام الارجل حكّة شديدة وكان لون الوجه كمداً [١١] ؛ فان العليل يموت في اليوم الخامس عند غياب الشمس لا سيما اذا كان يبول في ابتداء مرضه بولا مدراراً .

١٠ً — اذا ظهرت على جفون المريض ثلاث بثرات احداهن سوداء والثانية كمدة والثالثة شقراء ؛ فانه يموت بعد سبعة عشر يوماً من ظهورها . وقيل من اول مرضه . وعلامة ذلك انه يكون كثير البصاق في بدء مرضه .

١١ً — واذا كان على احد جفني العينين بثرة كالحلزونة ليّنة الحس كمدة اللون ؛ فان صاحبها يموت من بدء ظهورها الى يومين . وعلامة ذلك ان صاحبها يكون كثير النوم في ابتداء مرضه يستغرق فيه استغراقاً .

١٢ ــ اذا سال من منخر المريض دم يميل لونه الى الشقرة وظهرت في يده اليمنى بثرة : فانه يموت بعد ظهورها بثلاثة ايام . لاسيما اذا كان في بدء مرضه لا يشتهي الطعام ولا يلتذ به .

١٣ ــ اذا ظهرت في فحذ العليل الأيسر حمرة شديدة ضخما قدر ثلاث اصابع . فانه يموت بعد اثنين وعشرين يوماً من اول ظهورها . وقيل من اول مرضه . وعلامة ذلك انه يشتهي البقول والخضر جداً . ويكون في ابتداء مرضه كثير الحك لجسده .

١٤ ــ وان كانت خلف الأذن اليسرى بثرة سوداء ظهرت بغتةً . فان صاحبها يموت الى اربعة وعشرين يوماً من مرضه بها . وقيل من بدء مرضه . ولا سيما اذ كان يشتهي الماء البارد شهوةً شديدة ولا يرتوي منه .

١٥ ــ واذا [١٢] كان خلف الأذن اليسرى بثرة حاسية شبه الحسكة . فان صاحبها يموت الى عشرين يوماً من مرضه بها في مثل تلك الساعة التي ظهرت بها البثرة . وعلامة ذلك ان صاحبها يكون كثير البول مدراراً في اول مرضه .

١٦ ــ واذا كان خلف الأذن اليمنى بثرة حمراء حارة الملمس يحس بها كلذع النار وهي بقدر الباقلاء المصرية . فان صاحبها يموت الى سبعة ايام من ظهورها . وعلامة ذلك انه يتقيأ في ابتداء مرضه قيئاً كثيراً .

١٧ ــ قال (ربما كان بقراط) وقد يعرض لبعض الناس وجع في الحشيشة (الذكر) زائد الحد ؛ ثم يظهر بها بثرة كمدة اللون ويظهر مثلها في المرفق : فان صاحبها يموت في اليوم الخامس من ظهورها . وعلامة ذلك انه يشتهي شرب الخمرة شهوةً شديدة .

١٨ ــ اذا كان على الحاجب الأيمن بثرة كمدة اللون ولا توجع : فان صاحبها يموت الى سبعة ايام من ظهورها قبل طلوع الشمس . وعلامة ذلك انه يكون كثير التثاؤب في اول مرضه .

١٩ ــ اذا كان في النبض الأيسر بثرة بقدر الدرجلة وهي كمدة اللون : فان صاحبها يموت بعد مضي خمسة عشر يوماً من مرضه . وعلامة ذلك انه يعرض له في ابتداء مرضه نوم كثير .

٢٠ ــ اذا كان على الكعب بثر كثيرة سوداء مؤلمة ؛ فان صاحبها يموت بعد ثمانية وعشرين يوماً من مرضه . وعلامة ذلك شهوة للاطعمة الباردة المزاج[١٣] .

٢١ — واذا كان على الصدغ الايسر بثرة سقراء تصير بعدة ويخد صاحبها حكة شديدة في شيبه مستمرة . فانه يموت بعد اربعة ايام من حدوث ذلك فيه .

٢٢ — اذا كان في وسط الرأس ورم اسود بقدر الحمرة غير مؤلم . فان صاحبه يموت بعد حدوث ذلك باربعين يوماً . وعلامة ذلك انه يعرض له في ابتداء مرضه اسباب .

٢٣ — واذا كان في صدره ورم اسود كالبيضة . فانه يموت بعد مضي ثمانية اشهر من ابتداء ظهوره . وعلامة ذلك انه يعتريه في بدء مرضه حصر البول وعسره .

٢٤ — واذا كان تحت اللحية بثرة . وفي الحنك الاسفل من جهة اليسرى بثرة . فان صاحبها يموت باحدى عشر ليلة . وعلامة ذلك شدة سهرة المريض فالحلويات . والله اعلم .

الفصل الثاني

في الادوية

صفة سفوف

يقطع البلغم والرطوبات الفاسدة ويقوي المعدة ويطرد الريح ويطيب التكبة ويحسن الصوت ويزيد في الحفظ ويذهب النسيان

يُؤخذ فلفل وزنجبيل اجزاء سواء . يُدق ناعماً ويضاف اليه مثل الجميع سكر ابيض . يُسحق الجميع جيداً . ويُؤخذ من هذا السفوف كل يوم ثلاثة دراهم على الريق . ومثلها عند النوم . فهو نافع مجرب .

صفة لعوق

للسال الحاصل بعد داء الجنب

يُؤخذ أوقية خيار شنبر ، وعشرة دراهم مَنّ افرنجي . وستة دراهم [١٤] دهن لوز حلو . ثم يُحلّ الخيار الشنبر بماء فاتر . ثم تمزج معه الاجزاء المذكورة . ويُؤخذ منه ملعقة جملة مرات كل يوم .

شربة

يُؤخذ ثلاثة دراهم يانسون ، وعشرة دراهم مَنّ افرنجي : وثلاثة دراهم سنامكي : وثلاثة دراهم ملح طرطير . ويدق اليانسون : ثم تجبل الاجزاء بالمنّ وتُؤخذ بماء فاتر كعادة كل شربة .

شربة لقطع الدور

خذ اربعة دراهم ملح طرطير : واربعة دراهم سنامكي . دق ناعماً جداً . كل جزء وحده . واعجن بدبس . والعق على الريق بعد الاستعداد . ويلزم ان تأخذ قبلها شربة او شربتين : فهي تقطع دور البردية الصفراوية .

للصفراء

يُؤخذ تمر هندي ويُنقع في مصل من عشيّة الى بكرة : ويشرب قدر أوقيتين : على ثلاثة او خمسة ايام .

مسهل الصفراء

يُؤخذ درهمين سنا مدقوقين ناعماً : وخمسة دراهم اهليلج اصفر مدقوق ومنزوع النوى . ثم يُجبل بعسل ويُلعق منه على الريق ثم يشرب من المصل الذي نُقع فيه التمر الهندي .

مسهل البلغم

يُؤخذ درهمين سنا مدقوق : وخمسة دراهم كابلي : بعد دقه ونزع نواه . ويخلط الجميع بعسل ، ثم يلعق على الريق .

لقطع علل الدم

يُشرب فنجان من الخل الحادق على الريق كم يوم . او يُدق الفرفحين ويُوضع في الماء ويُشرب عند ابتداء العلة . وان لم يفد [١٥] فليفصد المريض او يحجم . وان فاته الفصاد يأخذ رغيفاً من خبز القمح ويحرقه ويذوّبه بالماء ويشرب منه ، فانه يبرّ الدم خروجاً ويشفي .

معجون الفلاسفة

المسمى ذات الحياة

وهو ينفع من فضول البلغم ويقوي النفس ويفرحها ويشهي الطعام ويقطع سلس البول ويسكن الرياح وينفع وجع الظهر

يُؤخذ فلفل وزنجبيل : ودراصيني : واهليلج ، وبليلج ، واملج ، وشيطرج وزراوند : وبابونج ، وخصى الثعلب : وصنوبر ، وجوز هندي ، وبزر رشاد . من كل شكل عشرة دراهم . وخمسة دراهم زبيب منزوع العجو. ويدق الجميع . ثم يُؤخذ عسل بقدر الاجزاء كلها منزوع الرغوة ثلاث مرات. ويُعجن ويُؤكل منه كل يوم قدر لوزة .

معجون نافع للبلغم المالح

ينفع من اثنتين وعشرين علة

يُؤخذ خمسة عشر درهم سنا ، وستة دراهم حبة البركه : وستة دراهم

ايارسون . واربعة دراهم زنجبيل . واربعة دراهم حوشحاش . وثلاثة دراهم ترمد . وثلاثة دراهم سنابح . واربعة دراهم غاريقون . ودرهمين مسك . ودرهمين لبان ذكر . واربعة دراهم زراوند . ويؤخذ مثل الجميع سكر . ومثله عسل . يُدق ناعماً ويُعجن ويُؤخذ منه مقدار لوزة على الريق .

معجون اكتسيه [١٦]

ينفع من يقوم منه الرياق (الترياق) . نفع للنوازع ووجع الظهر ويقوي الفؤاد ويطرد البرد من البدن بسائله لا تحصى

يُؤخذ كمون اربعين درهماً . ويُنقع في خل بكر (ثقيف) ثلاثة ايام . ثم يُجفف ويسحق ناعماً . ويؤخذ قرنفل ثلاثة دراهم . وحب نيل اربعة دراهم . وزنجبيل خمسة دراهم . ودار صيني ستة دراهم . وافسنتين ثلاثة دراهم . وسعد اربعة دراهم . وكندر خمسة دراهم . ومستكي خمسة دراهم . وايارسون ستة دراهم . وفلفل ستة دراهم . وحور هندي ثلاثة دراهم . وحصى نعنع ثمانية دراهم . ودار فلفل اربعة دراهم . وحب سنجل عشرة دراهم . وزعفران درهم . وجرجير الماء ثلاثة دراهم ، وبزر كتان درهمين ، وتين خمسة دراهم ، وخولنجان عقاربي خمسة دراهم . يُسحق الجميع ناعماً ، ويؤخذ ثقل هذه الاصناف ثلاث مرات عسلاً منزوع الرغوة ، ويُقطر كل يوم على ثلاثة مثاقيل منه .

معجون

يطرد الريح من الجوف ويفتح السدد وينشف في اعماق العروق ويخرج العلل من اقطارها ولا يستقيم معه داء في الجسد

يُؤخذ صبر اشقر ، وحب رشاد ، وحبة السوداء ، وفلفل ، وزنجبيل ، وحليلج اسود ، اجزاء سواء . يدق ناعماً جداً ويُعجن بثلاثة امثاله من العسل المنزوع الرغوة . ويُؤخذ منه على الريق قدر الجوزة مع الحماية من (١٧) المتغلظات (الماكل الغليظة) .

خلط البلغم

اذا غلب على الانسان برودة ورطوبة ، فيكون المريض بارد الملمس والحواس ، كثير الكسل والنوم والبصاق مع السدد في الريق ، هارق البول بلون ابيض ، مالح الريق والفم ، مع شدة المرض في الليل وسكونه في النهار . وربما يرى في منامه المياه وخصوصاً في اقران الشتاء .

العلاج له

يُؤخذ عشرة دراهم ورق سنامكي ، وثلاثة دراهم حلبة ، وثلاثة دراهم

حب الهيل . وثلاثة دراهم شحم حنظل . ودرهمين بزر حرمل ؛ وخمسين درهماً من الزبيب المنزوع البزر . ويُنقع الجميع برطل ماء يوماً وليلةً . ثم يعلى على النار حتى يصعد نصف الماء ويبقى على الريق . كل يوم مقدار اوقية ونصف

في عمل حب الايارج القوي

وهو يسهل الاخلاط البلغمية والمرة والسوداوية ويفتح السدد ويجلو من الصرع والشقيقة والصرع والامراض البلغمية والفالج واللقوة والسبات والجرب والبرص

يُؤخذ ايارج فيقرا . وتربد . وغاريقون . من كل جزء عشرة دراهم . وكاملي اصفر مسحوق الثوى ثلاثة دراهم . واهليلج هندي درهمين . وشحمة مشوية درهمين ونصف [١٨] . ثم يسحق الجميع وينخل ويعجن وينصب . ويؤخذ منه مقدار ما يغرض الطبيب الماهر . قال سابوران : ان اردت ان تسهل السوداء يضاف اليه خمسة دراهم افتيمون اقريطشي .

صفة لي المحمودي

خذ سفرجلة اثقبها وضع فيها المحمودي وسدّها في شقفة (قطعة) سفرجلة واطمرها في الرمضان حتى يحترق العجين ؛ ثم اخرجها . او انك تضعها في عقدة قصب وتطليها في عجين وتضعها في الفرن حتى يحترق العجين .

خلط الدم السوداوي والصفراوي

المسمى عند الناس كابوس وبابوس وقرينه . ويخال صاحبه انه يلمس قطاً او شيئاً ناعماً ؛ مع انه لا يلمس شيئاً حقاً . بل ان هذا من فساد خلط الدم السوداوي . واحياناً يقبض على الزلاعيم كانسان يريد ان يخنق ؛ ويرى كأنه في اليقظة . فهذا يلزم له فصد اولاً وبعده يستعمل هذا الدواء . وهذه صفته :

يُؤخذ خربق درهم ، محمودي ربع درهم ، شحم حنظل ربع درهم ؛ ايانسون ستة دراهم . يدق ويُعجن ويُقرص والشربة منه درهم .

اعلم انه اذا صار ضهور (خروج) زائد عن اربع عشرة مرة من اية شربة كانت ؛ فيجب قطعه لانه مضر . خذ راوند وحمّصه [١٩] واسقه ناعماً واسق منه قليلاً فيقطع الاسهال . او نقّط كم نقطة حامض في الشورباء (الحساء) واطعمه فيقطع .

وان اخذت عود الصليب ولبان ذكر ومستكي وسحقت وجبلت في عسل وفطرت منه على ثلاثة ايام ؛ كل يوم قدر لوزة ، فيمنع كل علة في الجسد.

شربة ملوكية

خذ عشرة دراهم سنا ، وانقعها بماء يوماً وليلةً . ثم خذ هذا الماء وأضف اليه عشرة دراهم من المنّ الفرنجي ، واشرب مثل كل شربة .

شربة تقطع البلغم

يؤخذ عود صندل . وحبلنجان . وقاوتشق . يدق دقاً وينخل ويؤخذ منه عند النوم مقدار لوزة . ثم يشرب فنجان ماء بارد .

شربة لمن كان شديد التقيؤ

يؤخذ ربع درهم محمودي . ودرهم طرخبير . ويجبل بعسل او سكر . ويؤخذ على الريق كباقي الشربات . فيرجع اليها عذرها حالاً .

وان كان العذر زائداً . يغلى ورق الريحان وقليل من النعناع مع السكر . وتسقى كل يوم فنجان على الريق .

معجون الجواشير (الخواشيق)

ويسمى ايضاً يقيء الحمر لكونه يقيء الاصفر

يؤخذ حولنجان خمسة دراهم . وحب اذان خمسة دراهم . وذرور صيني وزنجبيل . وحصالبان : واكة احمر . وعرق الرلس بلدي . وزيزفون . ودار فلفل : وكابلي صيني ، من كل شكل عشرة دراهم . ويسحق الجميع وينخل ويضاف اليها [٢٠] ثقلها ثلاث مرات عسل منزوع الرغوة . ويجبل ويؤخذ منه كل يوم مثقالاً على الريق : ومثقالاً عند النوم . والمثقال درهم ونصف . فهو يحسن الذهن واللون ويقوي الاعضاء الضعيفة . ويخرج البلغم : ويسكن شهوة الأكل : ويبرد الحرارة الغريزة : ويطرد الريح الغليظ ويصلح البدن والمعدة : ويمنع الحرار . ويفيد لكل داء .

لزقة تسهل الصفراء والبلغم والسوداء

وتغني عن اخذ الدواء . وهي من الاسرار الملوكية عند الاطباء :

يعالج بها الاطفال والشيوخ ومن به ضعف قوى

يؤخذ حنظة ترمس ، وتدق جريشاً : ويرمى القشر ، ويجعل في اناء من نحاس ويغمر بالحليب ويطبخ حتى ينشف . ثم يلقى عليه سمن بقر ويغلى حتى يعقد ، ويمد على خرقة ويوضع على الاريقة.

وان اردت اسهال السوداء فضمد على الفؤاد . وان اردت اسهال البلغم ، فضمد على الوركين . ومتى اردت قطعها : اي قطع الاسهال : فرطب اللزقة بماء حار وارفعها فينقطع الاسهال .

صفة ضماد عجيب

ينفع المطحول والمستسقي ومن به تمدد الجنين ووجع المفاصل وعرق الانسا والعلل المزمنة العتيقة

يؤخذ شمع وزفت وصمغ صنوبر ، من كل شكل اوقية . والأوقية اثنا عشر درهماً . وزرنيخ احمر ، وشب يماني ، ونورة (كلس) لم يصبها

الماء . من كل شكل [٢١] ربع درهم ثم ريت بقدر الكفاية . وتدرهم ويتمسّد به على الزجع .

معجون الكركلان الربيع

يؤخذ قرفة . وقرنفل . وزنجبيل : وجوزة الطيب . من كل شكل عشرة دراهم . وسكر عقدة الربيع ؛ ويسحق ناعماً ثم يؤخذ قدر نصف مد كركلان . ويدق قليلاً ويغلى في طنجرة مبيضة وليكن الماء شبراً فوق غمره حتى يتمسد قدر أوقيتين . ثم يصفى بخرقة ويضاف اليه رطل عسل وتغلى ثانياً حتى يقرب ان يجمد . ثم تضاف الاجزاء قليلاً قليلاً وانت تحرك في عود مشعب وقتاً يسيراً . ثم يرفع هذا المعجون عن النار . ويؤخذ كل يوم قدر الخروبة غير الريق ويتمسد ثلاث ساعات .

لداء الحب

خذ تفاحة سكرية . وان امكن شامية . اي من التمام تكون ناضجة . واثقبها قليلاً وضع فيها كم صمغ حصالبان ذكر : واطلها بعجين وضع فوق العجين خرقة مبلولة واطمرها في الرمغان حتى تستوي ؛ ثم اخرجها . وبعد التمسد اطعمها مع العجينة للمريض .

شربة لطيفة

يؤخذ درهم ونصف سنا ؛ ودرهم ونصف جلبا ؛ ودرهم ونصف ملح طرطير . يسحق كل شكل وحده وينخل ؛ ثم تجبل هذه الاصناف بدبس او سمن . ويؤخذ على الريق . وعند الخروج يشرب ماء سخناً جداً كشرب القهوة .

شربة

يؤخذ ثمانية دراهم سنا ، واربعة دراهم زعتر ؛ ودرهمين افتيمون : ونصف رطل خمر اصفر عتيق بدون غلي . وتنقع الاجزاء [٢٢] في الخمر اربعين ساعة . ثم يصفى ويرمى الثفل ، ويؤخذ من الخمر كل يوم أوقية على الريق . وبعد ساعتين يشرب مرقة فروج بدون ملح . فهي شربة نافعة للنقطة ، والنقيز في المفاصل ؛ وللجرب ؛ والسوداء ، والقيظ ؛ والبلغم ؛ ووجع الرأس والصدر والطحال ؛ ونفخة المصارين ، والدوخة . وهي تحد النظر والسمع .

لداء النقطة

يؤخذ قرفة سيلانية ، وبهار فرنجي ، وحب العجيز ، وحب الخال . من كل شكل سبعة دراهم . وتسحق جيداً . ثم يؤخذ صفار سبع بيضات

دجاج . وخاع حرو كلب قبل ان يفتح عينيه . اسلق رأسه وجد لحاته واقسمه سبعة اجزاء . وجد صفار بيضة واحدة . ودرهماً من كل جزء من الاجزاء : وجزءاً من لحاع الكلب ؛ واخفق واقل بسمن مع قليل من الملح . وكُل على الريق مدة سبعة ايام . او اكبّ على باب القلب حين وجود العلّة يبرأ المريض . او يؤخذ اوقيتين حليب ناقة ويخض بدبلها ويشرب على الريق ثلاثة ايام .

صفة تشبه من كل وجع

يُؤخذ عشبة البربغيته وتُغلى الى ان تنضج جيداً . خذ منها نصف كفاية . ومنه حمر اصفر واشرب على الريق سبعة ايام . واذ لم يوجد نبيذ يُغلى معها صمحاد بخميل ثم تُشرب كما مر .

معجون

يفرح القلب الحزين . ويقوي الضعف . ويخرق السلعم ، ويقوي الصميت . ويحلل فضله
[٢٣] الرئة . ويسخن الكلى ؛ وينعش الحرارة الغريزية ويشد عضل المثانة ويزيل
ما فيها من البرد الذي يكون سببه كثرة البول . وينفع اصحاب اللقطة :
ويذهب التوليج والريح الغليظ ، ويهضم الطعام ؛ ويطيب النكهة ؛
ويصلح فساد المعدة ؛ ويحد البصر ، ويذهب الاوجاع .
واذا نفع فانه ينفع ما يداوى به اصحاب البلغم...

يؤخذ فلفل ؛ وزنجبيل ؛ وحصاليان ؛ ودارصيني ؛ وخولنجان ؛ وابهل (ابهل) احمر . وبوزيدان ؛ وبزر زلوع ؛ وحبة سوداء اجزاء سواء . تُدق هذه الاصناف ويُؤخذ قدرها عسل او سكر وتُمزج وتستعمل .

الفصل الثالث

معجون لجودة الفهم

يُؤخذ كندر . وسعد ؛ وعاقر قرحا ، وفلفل اسود ؛ وزعفران شعري اجزاء سواء . يُدق كل صنف وحده ؛ ويؤخذ مثل الجميع عسل . والشربة اربعة دراهم ؛ او اربع حبات . فمن شربه اسبوعاً جاد ذهنه . ومن شربه اسبوعين تذكّر ما قد نسيه .

معجون الفلاسفة

يعين على الحفظ ؛ ويزيل النسيان ، وينفع من الامراض
الباردة في الدماغ والاعضاء ، ووجع الظهر والوركين

يُؤخذ فلفل ؛ ودارفلفل ، ودارصيني ، وزنجبيل ، وقرنفل ؛ واملج ؛ وابلج ؛ وشيطرج ؛ وزراوند مدحرج ، وقلب صنوبر مقشور ، وشرش

بابونج . وجوز طيب ؛ وسنبل . وهال ؛ وسنكي ؛ وحصالبان ذكر ؛ وعاقر قرحا . اجزاء سواء . يدقّ ناعماً ويلتّ في دهن [٢٤] لوز ويعجن بثلاثة امثاله عسل منزوع الرغوة . ويؤخذ منه كل يوم مقدار البندقة ؛ ويجتنب أكل اللبن .

دواء للحفظ

وهو يقوم مقام البلاذر ... يؤخذ فستق مقشر وزبيب اسود منزوع النوى . وسعد ؛ وحصالبان . ذكر وعاقر قرحا . اجزاء سواء . يدقّ ناعماً ويؤخذ منه كل يوم مثقالين بعد لزوم الحمّام ؛ فانه مهما يسمع يحفظ .

مسوف

يقطع البلغم ويطرد الريح ويحسن الصوت ويزيد في الحفظ

يُؤخذ فلفل وزنجبيل . وقدرهما سكر ابيض . يُدقّ ويؤخذ منه درهمين في الصباح ودرهمين عند النوم .

معجون الذكاء والحفظ

يؤخذ سنا ، وفلفل ابيض ، وكندر ، وزعفران . اجزاء سواء . يُدقّ ويعجن بعسل او بسكر . ويؤكل منه على الريق مثقال ؛ اي درهم ونصف . على سبعة ايام. ولا يزيد على السبعة الأيام لئلا يصير له وسواس من زيادة الحفظ .

معجون

وجد مكتوباً باحرف ذهبية في صحيفة من فضة

يُؤخذ زنجبيل ، وعروق الصبّاغين ، وميرونه ، وقسط حلو ، وورق كرم ، ووج ، ودار فلفل ، وبزر الرطبه ، اي بزر لفت ، وسنبل الطيب ، وكندر ، وهو لبان الذكر . اجزاء سواء . يدقّ الجميع ناعماً وينخل ويعجن بعسل منزوع الرغوة قدر ثلاثة امثال الاجزاء . ويؤخذ في الصباح قدر الغولة ومثله عند النوم . ويجتنب حين استعماله الحامض والمالح واللبن [٢٥] وكلّ المتغلظات . فمن داوم هذا المعجون اسبوعاً واحداً زاد حفظه ، ويحسن صوته. ومن دوامه اسبوعين لم يشب . ومن دوامه ثلاثة اسابيع اسودّ شيبه . ولم يسمع شيئاً الا حفظه ؛ ويزيد في النشاط والقوة والمني ؛ ويحسّن اللون ويطرد البرودة والريح من الظهر والمفاصل ومن سائر الاعشاء . وهو نافع لسائر الاوجاع والامراض . وقد انشأه غورش الحكيم .

وان اخذت قشر رمان وبانسون ، اجزاء سواء ؛ وسحقت جيداً واخذت كل يوم درهمين على الريق مدة سبعة ايام ، فانه يفتح الضهن (الذهن) ويجلي العينين ويقوّي النظر .

وقيل : ان قلب الخلد : اذا سُحق وخُلط مع حليب معزى وشُرب على الريق زاد الفهم .

معجون الخلط وذكره

يؤخذ كندر ، وسكر طبرزي . وسعد كوفي . اجزاء سواء . احق ناعماً . ثم استفّ منه خمسة دراهم على الريق ثلاثة ايام ، ثم اقطع ذلك خمسة خمسة ايام . ثم راجعه ثلاثة ايام اخر . وهو يمنع الشيب ايضاً .

او يؤخذ فستق مقشور ، وزبيب اسود منزوع العجر ، وسعد ، وحصالبان ذكر ، اجزاء سواء . يدقّ ناعماً ويؤخذ منه كل يوم مثقالين بعد الرام الرياضة والحماية وقلة العذاء . فانه منها يسمعه يحفظه .

مرهم

يؤخذ مرتك ، وصبر اسقطري . يدقّ ناعماً ويعجن بالسمن البقري والخل الحادق [٢٦] ويستعمل .

او يؤخذ صمغ صنوبر وعلك ، وشمع وصمغ بطم ، وسبادج ، ومستكي ، واغل بزيت وصفّ بخرقة وارم الثفل .

او يؤخذ شمع وزفت مراكبي ، وصابون وشحم معزى . اجزاء سواء ثم يغلى قليلاً بزيت ويستعمل .

او يؤخذ تمرتينا ، وصبر اشقر ، ويغلى قليلاً بزيت .

لورم الجرح والحبة

يؤخذ مرسنك فضي ، ويسحق ناعماً جداً ويمرهم بزيت ويدهن به الورم ، ويلفّ بخرقة اربعة وعشرين ساعة .

الخنازير

وهي قروح خبيثة تسرح في البدن وتأكله .

يؤخذ صبر مر ، وعنزروت ، ويدقّ ناعماً ، ويعجن في سمن وعسل وخل . ثم يغسل المكان بماء حارّ . ثم يدهن .

حبة الشره

يؤخذ طحين شعير ، وطحين قشر رمان ، وطحين عدس . ويخلط بماء الحنديا ويطلى به .

الخراسنة

وهي حبة في الزلاعيم . يؤخذ سرطان بحري . يُسحق ويُعصر ويفرغ في الزلاعيم .

او يغلى القبّار ويتغرغر به .

او يذوّب ربع درهم شنادر ويُسقى .

او يذوّب درهم شنادر برطل حليب بقر او معزى ويُسقى شيئاً بعد شيء .

او يكوى مكان كيّ بنات الادن بعد الفصد والحجم . حالاً وسريعاً .

او يُغلى حب العرعر . اي الدفلى ويبخّر به اعلل عند اسرع ويتغرغر به سحناً . ويُشفّ العنق بصوف ويرقد مريض ويتغطّى جيداً ليعرق فيشفى . والا فيُراجع .

الذكنة

وهي حبة نجسة تأكل اللحم . يؤخذ جنزار (زنجار) وكبريتة . اجزاء سواء . ويسحق ناعماً ، ثم يخلط بعسل ويوضع لزقة كم مرة .

او يؤخذ ملح وطحين شعير ويُطلى به بيضة دجاج وتُطمر في النار حتى [٢٧] تحترق العجينة . ثم تؤخذ العجينة وتُسحق ناعماً وتُرش .

وان كان الوجع قوياً جداً . خذ صفار بيضة وادهن به ورش فوقه مما ذُكر واتركه اثنتي عشرة ساعة . ثم خذ رطل حب سمّاق واغله برطلين خل حادق حتى يصمد الربع ثم صفّه واتركه الى ان يبرد . واغسل به بعد الدهن جملة مرار .

حبة الكي

اعلم ان حبة الكي تنبت للاولاد الصغار في جوفهم ، ويصير لهم هرار من جرّائها . يلزم لهم كيّ في الرأس . وكذلك تصيب النساء في ابزازهن (اثدائهن) وتطول وتزمن كثيراً وبعسر شفاؤها . وان لم يُكو في الرأس تتلف اعلل . ويفيدها الكي ولو طالت في النساء والاولاد .

للحبوب

زوم القزّيزة مع الزيت ، للحب دهناً . .

زوم العبعب ، للحب دهناً .

عظم الانسان ، للحب رشوشاً .

استسقاء

يؤخذ حنة وسبيذاج . وروم قصب فارسي . ثم يحبل ويوضع لزقة .
او يؤخذ حشيشة القزاز (الزجاج) تدق وتوضع لزقة بعد التشييط .
وان أخذت شرش البلغصين ودقته ووضعته على الدملة او القلوعة . تنضج .

لسائر الحروب

يؤخذ اوقية مرسنك فضي ؛ وسحق ناعماً جداً . وتُنقع في خمس اواني خل حادق سبعة ايام . ثم خذ هذا الخل واضف اليه نصف اوقية سيراج ودرهمين زيرقون احمر ناعم . واخفق حيداً واذهن به يومياً . مدة ثلاثة اسابيع . وان استند الدواء وجمد . أضف اليه قليلاً من الزيت الحلو .

وان اخذت روث انسان يابساً ناعماً ورشته على الحبة [٢٨] التي تطلع في الزلاعيم تبرأ .

مرهم للجراحات وغيرها

يؤخذ ثلاثة دراهم زعرور ؛ ودرهم لولو غير مثقوب ؛ ودرهمين زعفران ؛ ودرهم شمع خام . تُدق ناعماً ثم تعجن بدهن ورد زيتي . ويستعمل . فهو عجيب في المنفعة .

مرهم آخر

وهو يُلحم كل ما عجزت عنه الاطباء . يؤخذ من علك الانباط عشرة دراهم . ومن رماد الصنوبر عشرة دراهم . ومن ترياق الحديد خمسة دراهم . ومن ترياق النحاس خمسة دراهم ؛ ومر بطارخ درهمين ؛ وزروند طويل سبعة دراهم ؛ وكندر سبعة دراهم ؛ وصبر شقر خمسة دراهم ؛ وجاوشير خمسة دراهم . يسحق ناعماً ويعجن بخل خمر ويستعمل .

لمعة اصفرارية

يُؤخذ درهمين مرسنك اصفر ذهبي ؛ ويسحق ناعماً . ثم يغمر بخل خمر حادق ؛ ويحرّك ويُوضع في الشمس حتى يجف ؛ ثم يُؤخذ زلال بيضتين ؛ وكشتبان زيت ويخفق ويُدهن به .

لنعب في رؤوس الاطفال

اذا اخذت زوم السليقة ودهنت به الحبّ الذي في رؤوس الاطفال يبرأ . مجرّب .

بقية السوائل من الاسفار والحيوان

يُؤخذ ريحان عراقيّ . وجاز : وحافر بغل محرق . ومومير : وبنات الحايك . وعقرب . وشنادر : وزنجفر ، اجزاء سواء . يسحق ناعماً . ثم تُغسل الثوتة بخل حاذق ويرشّ عليها بكرةٌ وعشية .

الاكلة

اولا ادهنها بدم قطّ اسود . ثم رشّ فوقه شنادر : فانها تهبط . وحينئذ تُعامل ترهم [٢٩] .

ترهم

يؤخذ قلفونيه . اق صمغ صنوبر . وشمع : وشحم . وزيت اجزاء سواء . تم ذرهم قنا ويسحق جيداً . ويُعلى قليلاً حتى يذوب ثم يُصفّى ويُرمى الجماش . ثم يلقى على هذه الاجزاء صفار بيضتين . ويخفق ويستعمل.

او يؤخذ لبان ذكر ، ومستكي ، وشمع خام : وعنزروت : وسيداج ، وشبّه وسيراج . اجزاء سواء . ويُغلى قليلاً .

تعريف عن الكتب

الحركة الفكرية في سورية (تابع)

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

٢ً ـ الكتب المدرسية المؤممة وما شاكلها

التأميم في العربية هو جعل الاملاك الخاصة والشركات وسائر وسائل الانتاج ملكاً للامة (المنجد في اللغة).

واذا فرضت الحكومة قانون التأميم على الكتب المدرسية عاملت هذه الكتب كوسيلة من وسائل الانتاج يرجع ريعها تجارياً الى الحكومة والأمة شأن الانتاج في الشركات. ولكن أمين الحكمة وحسن التروي ان يعامل الكتاب المدرسي التعليم معاملة القماش في قطعة النسيج؟ أليس من اللازم ان يصير التمييز بين الكتاب للبيع عند الوراق وبين الكتاب اداة التفكير والتعليم؟ وهل يرضى العقل السليم بتأميم الفكر والعلم كأنه رهين الدولة كالأشياء المادية؟

او بغير عبارة أيجوز ان يحصر اسلوب التعليم في نطاق مبلور لا يترك للمعلم وللمتعلم الحرية في التصرف به حسبما يراه موافقاً للظروف في الزمان والمكان والاشخاص دون ان يمس المبادئ الانسانية البديهية التي تترك للابوين مع واجب تربية اولادهم البدنية والعقلية الحرية في اختيار اساليب تعليم على ان يكون ذلك التعليم موافقاً للحق الطبيعي ولشرائع البلاد الصالحة. وهذه الملاحظة نعتبرها جوهرية قبل الاخذ في تعريف القراء بسلسلة الكتب المدرسية المؤممة في سورية.

ولعل تطورات الاحداث الاخيرة بين انقلاب وانقلاب آل امره الى تغيير ما جاء في الكتب المؤممة كما تغيرت امور كثيرة في سورية ولكن المبدأ الذي اشرنا اليه في لزوم مراعاة حرية التعليم ضمن الشروط المحدودة في الدول المتمدنة والذي تؤاخذ الكتب المؤممة بعدم مراعاته يستدعي اعادة النظر في شؤونها فرأينا افادةً في الكلام على هذه الكتب في نطاق وحدتنا الحركة الفكرية في سورية

واننا لا نذكر الا الكتب التي بين يدينا احدثاً بتاريخ صدورها من السنة ١٩٥٦ الى السنة ١٩٦١ .

هي الكتب المدرسية ومواضيعها تشمل مختلف الدروس : مفتاح القراءة . الصرف : السحر : المنتخبات الادبية . على اننا حصرنا مقالنا في التاريخ والشؤون الاجتماعية ويخيل لمؤلفيها اعمال بين قادة الحركة الفكرية تلوّ من ذكرياهم في الجزء الاول من هذا المقال في مجلة المشرق سابقاً (١٩٦٤ . ك٢ — شباط واذار ونيسان) .

واذ كانت مادة الكتاب تقدر قيمتها ليس بقيم معانيها فقط ولكن بعدد قرائها ايضاً فترى اهمية الكتب المدرسية تعظم وتنمو بعدد المئات والآلوف من القراء الذين يتصفحونها من اساتذة وتلامذة وغيرهم . وقد تستوجب النظر والنقد في حسنها او مساوئها . وان الكتب التاريخية التي بين يدينا تحوي مواد مترادفة فيها مفصولا بفصول من العهود القديمة الى يومنا ونقد الكتاب الواحد يكفي مؤونة نقد سائر الكتب المترادفة فيه المواد ؛ ولذلك نتكلم بشيء من الاسهاب على « تاريخ العرب من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن السادس عشر » وعلى « تاريخ اصول العالم الحديث » . وفي الكتابين موجز تاريخنا من القدم الى يومنا ونكتفي بتعريف سائر الكتب بأسطر معدودة ونختم المقال بملاحظات عامة افادةً لتقصّي الحقائق وسد الخلل في التعليم .

مؤسسة الكتب المدرسية المتحدة

تاريخ العرب من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن السادس عشر

الصف الثاني الاعدادي — تأليف حرب فرزات خيرية قاسمية محمود طرشه
المطبعة الجديدة — دمشق ١٩٥٩ ق ٨ ص ٢٧٢ مصور

جاء في ص ٣ ؛ ص ٩ ...

« سنرى المعجزة العربية في السياسة والحرب وفي الحضارة في وقت كانت فيه الظلمة تسود العالم الاوروبي » .

فنقول : « ليس ثم من معجزة اتى من حدث يفوق قوى الطبيعة ... لان العرب استمدوا من البلاد المتمدنة التي فتحوها في الشام ومصر وفي المغرب من تراث المدنية الاغريقية الرومانية المسيحية ما تصرفوا به لانشاء المدنية العربية الاسلامية .

وليس هناك من معجزة سياسية لان البلاد التي فتحها العرب كانت في حالة انحطاط اشبه منها بالفوضى وقد سهل العنصر العربي المسيحي الفتوحات للعنصر العربي الاسلامي . وجرت الامور في سبيلها الى ان ظهرت الدولة الاسلامية بعزّها .

جاء ص ٤ ، سطر ١٠ ...

« نحن نعتقد ... ما اسطف احرف في سنة قصيرة لا يخلو من نقص » .

فنقول : « ليس من الغبطة ان يوضع بين ايدي التلامذة كتاب لم يقص مؤلفه الزمان الذي لا بد منه للبحث والتنقيب لان « العجلة من الشيطان » .

وقال :

« نرجو ان يساعدنا الزملاء والمربيات على تلافي النقص ... »

ونحن اخذاً بهذا الرجاء اتينا على كتابة ما رأينا الواجب في كتابته خدمة للحقيقة ومساعدة على وضع الكتاب المدرسي . فنقول : قبل ان يقدم اصحاب الكتب المدرسية على التأليف في التاريخ يا ليتهم قرأوا ما قاله احد رجال الاختصاص في التربية :

« من المستحيل ان تصور بالفاظ معدودة صورة امة خطيرة او صورة مشروع عظيم ؛ ومن المستحيل ان يجمع بعبارات وجيزة ذكر حوادث او ترجمة لأشخاص وفيها ما لا نهاية له تنوعاً واهدافاً ؛ من المستحيل ان تعرض بلوحة صغرى شاملة صور الرجال والاشياء في مقام مناسب لأهميتها ؛ من المستحيل ابداء الحكم المصيب في الامور وبحثها بعلاتها حتى اذا اطلع القارئ عليها اشعر بانه يقف عليها من غير تغرض وانحراف عن الاصابة . لان ذلك يتطلب جهوداً عظيمة ودقة في معالجة الامور مع المقدرة الواسعة على الانشاء والدقة في بحث الحقائق . والغيرة المتقدة على اتباعها ولن يبلغ الى ذلك الا العقول الثاقبة عقول المؤلفين المتنزهين عن كل ما ليس من شأنه ان يكون علمياً فيطرحون عنهم النزعات الشخصية وكل ما من شأنه ان يحوّل الفكر عن لب الحقائق ويثنيه عن الحكم المصيب » .

ولسوء الحظ ليس في المؤلفات التي بين يدينا كل الصفات التي ذكرناها ولا بد من الاشارة الى ذلك كما سترى .

وقال ص ٥٢ :

« وجّه النبي الدعوة للاسلام الى ملوك الدول المجاورة والى نجاشي الحبشة وقيصر الروم وكسرى وفارس ومقوقس مصر . فاما النجاشي فقد كان رده معتدلاً واما قيصر الروم هرقل فلم يرسل رداً ؛ اما كسرى فارس فانه عندما تلي عليه الكتاب بعد ان ترجم استشاط غضباً ومزق الكتاب واما مقوقس مصر فانه قبل كتاب رسول الله واهدى اليه اربع جواري منهن مارية القبطية التي تزوجها محمد (ص) وولدت له ابنه ابراهيم » .

ونقول : لست ادري بالوقع الذي تحدثه حكاية الجواري الاربع في خيال الشبان تلامذة الصف الثاني الاعدادي وباللباقة وبالتحدث عنها في المدرسة .

ولو كانت صحيحة تاريخياً. ولكن النقد العلمي بيّن ان اخبار مثل تلك الدعوة التي وصفها المحدثون ليست الا اسطورة من الاساطير.

راجع في هذه المسألة كتاب كايتاني «حوليات الاسلام» في عام ٦ من الهجرة[1]. قال ما خلاصته. في بدء ٦٢٧ كان جلاء الترس عن مصر ولم يأخذ المقوقس بالحكم بعدهم باسم هرقل الا في ربيع سنة ٦٣١ على ان الرواة المسلمين يقولون ان دعوة محمد وصلت الى المقوقس في نيسان ٦٢٨. فكيف تبلغه ولم يكن اذ ذاك حاكماً في مصر!

يقولون ان الخاريتين القبطيتين ماريا وشيرين تكونا قد وصلتا الى المدينة في اوائل ٦٢٩ حتى يمكن ان يولد ابراهيم محمد النبي من ماريا القبطية في نيسان ٦٣٠ ولكن جاء في غير حديث من الروايات ان ماريا وشيرين كانتا عند محمد في يناير ٦٢٧ وان النبي اعطى شيرين لحسان بن ثابت. ومن ثم فليس لها علاقة بالمقوقس...

وقال كايتاني: ومما يزيد بقلة صحة الخبر ويبين نزعته الاسطورية انه ليس من المعقول ان يرسل امير قبطي مسيحي آنستين قبطيتين مسيحيتين هديتين الى زعيم عربي مجهول منه مهما يكن انحطاط المسيحية في ذلك الزمان والمكان.

وجاء ص ٥ — ٥٨:

العصر الجاهلي (واسمه بالجهل ضد الحلم) سيرة الرسول العربي محمد بن عبدالله — خديجة بحيرا — زواج محمد — البعثة وبدء الوحي — القرآن ومبادئ الرسالة الاسلامية — «لماذا اعتنقت الاسلام»... كفاح الرسول العربي — عقيدة التوحيد — غزوات الرسول وانتصار المسلمين... كتاب الرسول الى النجاشي — الى كسرى — الى المقوقس.

فاقول: للمسلمين وشأنهم فيما يقولونه ويكتبونه عن «النبي» وبحيرا والقرآن وعقيدة التوحيد وغير ذلك. وان امور الدين دقيقة حسّاسة لا يجوز مسّها الا بالفطنة والاعتبار... (اطلب القسم الثالث من هذا المقال).

وان هذا الكتاب وهذه الاقوال المستغرقة جزءاً عظيماً منه.، وضعت للتعليم بأمر الوزارة في مدارس الجمهورية العربية المتحدة. وهذه المدارس تجمع مع التلامذة المسلمين عدداً غير قليل من المسيحيين.

فلا بدّ من الكلام والرد دفاعاً عن المسيحية وعن الحقيقة التاريخية. يقضي الاولاد المسيحيون ربع السنة المدرسية او ثلثها في درس الدين الاسلامي وليسوا هم بحاجة اليه لانهم مسيحيون. اوَ لم يكن من الانصاف بحقهم ان يقرأوا في

[1] L. Caetani, *Annali dell'Islam*. Milano, 1905, I, p. 370.

« تاريخ العرب » تاريخ المسيح والمسيحية التي نشأت في بلاد فلسطين وبلاد فلسطين هي « بلادنا » ولغتها هي لغتنا ! ولم يذكر المؤلفون المسيح ولا المسيحية مع كونها كانت ديانة اهل الشام والعراق ومصر والمغرب عند ظهور الاسلام .

قال ص ١٨٠ ، سطر ٣ ...

« وقد اثار دعاة الحروب الصليبية وعلى راسهم الراهب بطرس الناسك العواطف الدينية في الغرب بعد ما نشر عن المعاملة التي لاقاها الحجاج المسيحيون في عهد السلاجقة الاتراك ، بعد ان كانوا يتمتعون به في عهد الحكومات السابقة فدعا الى فتح فلسطين وطرد العرب المسلمين منها . »

وقال ص ١٨٢ ، سطر ٤ ...

ثم انطلق الصليبيون نحو مدينة انطاكية فحاصروها ثمانية اشهر وتمكنوا من دخولها واحتلوا حصن الاكراد « قلعة الحصن » . . ثم وصلوا الى بيت المقدس فدخلوها بعد معارك وحاصروا القدس نحو ستة اسابيع وتمكنوا في ١٥ تموز من اقتحام السور وحاصروا البرج الذي في الشمال الى ركسم ... ثم احتلوا طرابلس ... واحرقوا مكتبتها .

فأقول : هذا الكلام يغالي ويناقض الحقائق . منها ان مكتبة طرابلس كانت تحوي ما تحويه مكتبة الوراق وكانت فيها المئات من الكتب التي هي نسخات عن ام واحدة لا الكتب بانواعها المتعددة . (راجع ملاحظاتنا في ذيل المقال) .

وقال في ص ١٩١ :

« واحتل الملك الظاهر قيسارية ويافا وقلعة الحصن بعد ان هدمها » .

فأقول ان قلعة الحصن لم تزل باقية عامرة الى يومنا وقد نشرت صورتها في الكتاب .

وجاء في ص ١٩٤ :

« امتزج فن البناء العسكري باسلوب البناء الفرنجي كما في قلعة الحصن وتركوا في البلاد قلاعاً كثيرة كقلعة المرقب قرب بانياس وقلعة صهيون وبانياس والشوبك والكرك ...

وخمد التعصب الديني بعد ان التقى الشرق الاسلامي بالغرب الصليبي والخلاصة ان اثر الغرب كان اثراً مخرباً اضعف الامة ومزقها ونشر فيها الخراب والدمار وافقدها كنوزها الفكرية بما احرق من مكتبات وما هدم من بنيان » .

اقول : فانظر التناقض في الصفحة ذاتها بين قول واقوال !

وجاء في ص ١٩٤ :

« ارتدت حملات الصليبيين خائبة عن الوطن العربي ولكن عاد الخطر الاوروبي يهدد كيان وطننا من جديد في العصور الحديثة في ثوب الاستعمار والصهيونية . »

فنقول : اين نحن من تاريخ الحروب الصليبية لنصل الى الصهيونية ! ن هذا القفز فوق ٨ او ٩ عصور يدوّخ التلميذ . فاين صلاح الدين الايوبي وريشارد قلب الاسد من بن غوريون ؟

ـ وجاء ص ٢٦١ في الكلام على الترجمة والنقل

« فقد العرب المسلمون منذ القرن التاسع عشر فصاعداً يترجمون الى العربية مؤلفات الاقدمين ».

« وكان كبار ملوكها الامبراطور شارلمان يحبون تعلم القراءة والكتابة ».

فأقول (راجع ملاحظات في ذيل المقال).

وقال في المكتبات ص ٢٦١ :

« وانشأ العزيز بالله الفاطمي مكتبة فيها مليوناً ومئتان الف مجلداً ».

فأقول ان اكبر مكتبة في العالم لا تجمع في يومنا عدد مليون ومئتان الف كتاب مخطوط

تاريخ اصول العالم الحديث

لوبر ديبوي ـ مجموعة المعهد دمشق ١٩٥٧ ص ٩٢ ـ ١٧٨٢٤ مصور

جاء في الكتاب [1] :

ص ٤ البابا والكنيسة الكاثوليكية : « انقسمت المسيحية في العصور الوسطى الى مذهبين كبيرين : اولهما المذهب الارثوذكسي في الشرق وعلى رأسه بطريرك القسطنطينية وكان يسير في البدء مسيحيي الامبراطورية الرومانية الشرقية ثم شمل ايضاً الشمالية بعد انتشار المسيحية بينهم .

والثاني المذهب الكاثوليكي وعلى رأسه البابا في روما. ولم يكن للبابا هذا المركز الذي اكتسبه قبل سقوط روما على يد البرابرة الجرمن ولكنه اثبت انه خليفة القديس بطرس ... واحتل البابوات مكانة سامية خلال العصور الوسطى لان انهم كانوا يتوجون الاباطرة ويمنحونهم البركة والسلطان ... وهكذا كانت الميزة الاولى للعصور الوسطى في اوروبا وجود كنيسة واحدة على رأسها بابا . ويعني ان له السلطة الزمنية ايضاً لانه هو الذي يتوج الاباطرة .

وكثيراً ما كان الخلاف يقوم بين البابوات والاباطرة على فكرة من هو الاعلى ولكن البابوات كانوا دائماً ينتصرون » .

فأقول: كل هذا البند محشو بالاغلاط ويحتاج الى تصليحات وشروحات تذوق استطاعة المعلم لا سيما اذا كان مسلماً . ومن شأنها ان ترمي البلبال والاضطراب في عقول ابنائنا المسيحيين .

وهذا البند مخالف لتعاليمنا المسيحية ومضر لابنائنا على اختلاف طوائفهم (راجع ذيل المقال) .

ص ٧ « على اننا يجب ان نلاحظ ان العصور الوسطى في اوروبا كانت بصورة عامة عصور جهل وظلام في وقت كان العرب فيه يعطون الانسانية احسن ابداعهم والسبب في ذلك ان علوم القدماء وآدابهم كانت مدونة بالاغريقية واللاتينية والذين كانوا يتقنون احدى هتين اللغتين كانوا قلة من الناس في اوروبا . »

. ص ٩ « في العصور الوسطى كانت تعاليم الكنيسة مسيطرة على عقول الاوروبيين سيطرة

(١) اليك تحليل مفصل للكتاب ـ وخذ منه انموذجاً عن سائر الكتب التي تصفها اختصاراً .

كاملة فهم لا يستطيعون ان يفكروا الا من خلال ما تعلمه من افكار وتعاليم ولا يستطيعون ان يتذوقوا من الجمال الا ما ينسجم مع الروح المدنية فهم آلات صماء نفخت فيها روح البحث والتحري عن الحقيقة لانه لا حقيقة الا ما تمليه عليهم الكنيسة وبقوا من اجل ذلك بعيدين كل البعد عن روح الابداع التي ولكن الاوروبيين احسوا بتأخرهم فعادوا الى تعاليم الكنيسة وعادوا الى كتب الاغريق والرومان يدرسونها الى جانب الكتاب المقدس واخذوا يتنسمون ريح الحرية ويتعللون في تفريجهم نوادر الشعر فعادت روح البحث العلمي تجد وتسري بتذوق الجمال وقد تسموا في سبيل ذلك احياناً كثيراً من اصحابها ولكن هذا الاتجاه هو الذي انتصر واصبح الاوروبي في النهاية انساناً . »

ص ٩ « اثر الحضارة العربية في اوروبا في الوقت الذي كانت فيه اوروبا خلال العصور الوسطى غارقة في ظلام الجهل كانت البلاد العربية في اوجي عصورها الحضارية . »

ص ١٠ « واثرت الفلسفة العربية الاسلامية على الفلسفة المسيحية الاوروبية تأثيراً واضحاً حتى ان مدارس الجامعية الكثير من القرارات لمنع تدريس فلسفة ابن رشد التي كان بها كثير من الاساتذة والمدرسين . »

ص ١١ « وقد نقله الاوروبيون الى بلادهم صناعة الورق وخاصة الحرير عن طريق المكتبات الاوروبية باللغة العربية وكان الناسخون احياناً يقلدون خطه دون ان يعرفوا معنى الكلمة الموجودة عليه وربما كانت احياناً آيات قرآنية . »

ص ١٢ « وقد اصبح معروفاً اليوم ان فاسكو دوغاما لم يكن باستطاعته ان يصل الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح لولا مساعدة ابن ماجد البحار العربي له في مهمته تلك . »

ص ١٣ « فبعد ان كان الناس في تلك القرون (الوسطى) يحتقرون الحياة الدنيا ويحطون من الحياة الآخرة الحقيقة المثل وبعد ان كانوا بالتالي محرومين من التفكير الفردي الا في حدود ما ترسمه الكنيسة ورجال الدين لهم ادخلهم هذه الحركة (الحركة الانسانية Humanisme) الى اعتبار الحياة غاية في ذاتها والى تقديس الانسان وفكره دون الاخذ بوجهة النظر الكنسية لأي موضوع فما دام للانسان عقل فله ان يفكر لما يشاء دون اية حواجز .

هذه الحركة هي التي دفعت ... المصلحين الدينيين الى رفض ما تفرضه الكنيسة من تعاليم ووضع تعاليم جديدة تنسجم مع المنطق البشري وهي التي دفعت العلماء الى رفض ما تفرضه الكنيسة من معلومات عن الكون . »

ص ٢٤ « ادت الحركة الدينية الى القضاء على وحدة المسيحية في اوروبا الغربية والى خلق كنائس مسيحية جديدة ».

ص ٢٥ ان الفساد الاكثر جلياً للانتباه كان في حالة رجال الدين .

... فقد طبع الكتاب المقدس بكميات كبيرة بالمئات الثورية وانتشر بين ايدي الناس فاصبح بامكانهم ان يطلعوا على اقوال المسيح مباشرة دون حاجة الى رجال الدين الذين كانوا يستأثرون بهذه المهمة عندما كانت نسخ الكتاب المقدس محدودة ومكتوبة باللغة اللاتينية التي لا يفهمها الجميع وبذلك تفتحت العيون على انماط من السلوك كان يمارسها الكهنة وتخالف ما جاء في الانجيل .

صكوك الغفران ... اعلن البابا ليون العاشر ان كل مذنب يغفر له اذا اتى صاغراً الى كنيسة بطرس الرسول ومن لم يستطع القيام بهذا الحج يمكنه ان يدفع صدقة من المال تساعد على اتمام بناء هذه الكنيسة ... ولكن العامة لم تفهم كل هذا التعقيد بل فهمت ان من يشتري صكوك الغفران تغفر ذنوبه كلها ويدخل الجنة .

ص ٢٦ هكذا نلاحظ ان الغاية من ايجاد صكوك الغفران وهي اوراق تباع للمذنبين هو اتمام بناء كنيسة القديس بطرس في روما ولكن الطريقة التي بيعت بها هذه الصكوك لم تكن لبقة اذ عهد بيعها الى بعض البنوك فكان الناس اذن يذهبون الى هذه البنوك لشرائها فكانهم يشترون الجنة بمالهم .

وعاتب البابا لوثر بالحرمان من وحة الكنيسة ...

ص ٢٩ جماعة الاصلاح الكاثوليكي اهم اعضائها انشاء « جماعة الاخوان اليسوعيين » « يجمع تراث » اما جماعة الاخوان اليسوعيين فقد انشأها راهب اسباني يسمى اغناطيوس لويولا وكانت جمعية ذات نظام قاس ينتقي اعضاءها من الرجال الاذكياء الادكياء والمتقنين ... ومن الذين حملوا الكاثوليكية في المانيا الغربية والنمسا وبلجيك ولكسمبرغ : يقصروا نشاطهم على اوروبا بل ارسلوا البعثات التبشيرية الى الصين واليابان وافريقيا والاميركتين

ص ٣٢ كانت معلومات الاوروبيين الجغرافية في العصور الوسطى سائية للغاية فكانوا يعتقدون ان الارض مربعة على شكل اسطوانة مجسمة ... وبيت المقدس هي مركز الارض وفي اقصى الشرق تقع الجنة [وناسين قول ياقوت في معجم البلدان ان العرب جعلوا الكعبة سرة الارض وبيت الذهب]

ص ٣٤ ... ان السعادة والنجاح والنجاح الشخصي فكان كل ذلك معقوداً حتى اطلع الاوروبيون على علوم العرب وحتى طبقت فيما بعد حركة الاصلاح

ص ٣٥ ... روجر بيكون حرض على العلوم ... حث على اتباع الطريقة العلمية لوصول الى حقائق وبعد ان اطلع على علوم العرب

ص ٣٦ بعد ان اقتنع علماء اوروبا بالطريقة الجديدة التي كان العرب قد استخدموها اليها منذ عهد بعيد اخذوا يحصلون معلوماتهم .. ويستفيدون من بعضهم بعضاً .

ص ٣٧ اعتقد رجال الدين ان ابحاث غاليلو (في دوران الارض حول الشمس) تعالت تعاليم التوراة ولذلك طلبوه امام محكمة التفتيش وبقي تحيناً بقية حياته حتى كف بصره وتوفي في السجن .

فيكون يرجع اليه الفضل في نظر الاوروبيين باكتشاف الجاذبية الارضية والواقع ان الجاذبية الارضية عرفها العرب من قبل.

ص ١٦٩ الثورة في سورية ... استعملت (فرنسا) ابشع الاساليب الوحشية وقامت بتدمير قرى بكاملها وضربت مدينة دمشق مرتين وقتلت الآلاف ...

اقول تعليقاً على هذه الاقوال (راجع ملاحظاتنا في الذيل) .

تاريخ العرب والاسلام

للصف السابع المتوسط – الف هذا الكتاب بتكليف من وزارة المعارف لجنة من الاساتذة : السادة بسام كرد علي ، جورج حداد ، شاكر مصطفى ، صعد الدين الفواص – مطبعة العلوم والآداب ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٣ م – ص ٢٢٤ – ١٧X٢٤ – مصور

قال المؤلفون في بدء الكتاب : نحن ننتظر من تأييد زملائنا وطلابنا الاعزاء خير ما ينتظر الزميل من الزميل والاستاذ من الطالب البار . فيكون المؤلفون من ذوات الاساتذة في التعليم الثانوي او « الابتدائي » ولهم الفضل فيما يكتبونه مادة « لتعليم » تلامذتهم وقد يتعهدون بالتأليف عن غير اختصاص ؛ على ما ادري . يبدأ الكتاب الذي بين يدينا في وصف الجزيرة العربية وينتهي في الكلام على « ابو عبيدة بن الجرّاح » . وهو اشبه بكتاب ديني اسلامي منه بكتاب مدرسي لعامة التلامذة من مسلمين ومسيحيين . وأولى بان يكون عنوانه تاريخ العرب الاسلام ؛ فليس للمسيح وللمسيحية فيه ذكر الا خلسة في الكلام على الخرطقات.(ص ٩٦، سطر ٢٦ ...) (راجع ملاحظاتنا في ذيل المقال) .

تاريخ الحضارة العربية

فرع الآداب واللغات – كتاب يبحث في الحياة الادارية والاجتماعية والاقتصادية – الف هذا الكتاب بتكليف من وزارة المعارف لجنة من الاساتذة السادة : انور الرفاعي ، بسام كرد علي ، شاكر مصطفى ، فيصل شيخ الارض – المطبعة الجديدة دمشق ١٩٥٣ – الحقوق محفوظة – ص ٩٢–٢٤×١٧ سم طبع انيق – ورق صقيل

جاء في ص ٧٥ د : اهل الذمة في المجتمع الاسلامي : لم تمض علاقات الذميين بالمجتمع المسلم على نسق واحد خلال العهود الاسلامية المتطاولة . فقد كانت تتأثر بمؤثرات مختلفة من اهواء الحكام والاوضاع الداخلية والاحداث الخارجية . وكثير من القيود والاضطهادات انما كانت تضيق لفترة وجيزة ثم تلغى كما حدث في عهد الرشيد والمتوكل والحاكم بامر الله . ولم يكتر ذلك الا في عهود الانحطاط . وحسن المعاملة كان الصفة الدائمة التي تمتع بها نصارى العرب منذ الايام الاولى للحكم الاسلامي كالذي نراه من عبدالملك بن مروان مع الاخطل الشاعر (النصراني) .

تاريخ الحضارة العربية

الحياة الفكرية – كتاب يبحث في الحياة الفكرية في الاسلام ولا سيما العلوم حتى مطلع العصر العثماني . للصف الحادي عشر – لفرعي العلوم الرياضية والفيزيائية ، والعلوم الطبيعية والفيزيائية – مطبعة الجمهورية السورية – وضع هذا الكتاب بتكليف من وزارة المعارف السورية لجنة من الاساتذة : انور الرفاعي ، بسام كرد علي ، شاكر مصطفى ، فيصل شيخ الارض – ص ١٣٣–٢٣×١٤ سم صور – طبع متقن – ورق صقيل

راقنا في هذا الكتاب اسلوبه الوضاح ولهجته المنزهة عن المبالغة فيليق بتعليم كبار التلامذة وبمطالعة المثقفين من القراء وفيه الاقوال والآراء الداعية الى البحث سواء اكان ذلك في المرحلة قبل الاسلام او في ظهوره او في مراحل النقل والتمازج ولا سيما في مرحلة الانتاج . جاء في الصفحة ٤ : « ان الانتاج الفكري العربي الاسلامي تم في بقاع عديدة متباعدة تمتد منذ ارض الاندلس ومراكش حتى ارض تركستان والسند ، واشتركت فيه عناصر جنسية مختلفة ليست كلها عربية وان كانت غالبيتها العظمى مسلمة ... » وافهم من ذلك ان للمسيحيين سهماً فيها .

التاريخ الحديث في الشرق والغرب

الكتب المدرسية المثبتة – الصف التاسع – شهادة الدراسة المتوسطة ١٩٥٦ – مصورات وزارة المعارف السورية – ص ٢٠٥–١٧×٢٤ – مصور

لا ذكر للمؤلف في هذا الكتاب فلا يعاتب ولا يخاطب . حبذا في « الاصلاح الديني » ص ٦٣–٦٥ عن اسبابه وعن « صكوك الغفران » والبروتستانية والاصلاح الكاثوليكي والبابا والجزويت وغير ذلك مما مسته يد المؤلف مساً غليظاً مخطئاً ومن امثال ذلك الكثير في طيات الكتاب فلا نرضى به لتعليم في مدارسنا المسيحية . راجع ملاحظاتنا عن ذلك في ذيل المقال .

تاريخ العرب الحديث

نسيب البربري – الكتب المدرسية المثبتة – مصورات وزارة المعارف السورية – المطبعة الحديثة – دمشق ١٩٥٧ – الصف الثاني – الفرع العلمي – معد للفتح الممتاز حتى عام ١٩٦٠ البقعة العربية – حقوق التأليف والنشر والطبع محفوظة ١٧×٢٤ ص ٨٣

هذا الكتاب على قلّة عدد صفحاته مفعم بالحوادث التاريخية الواجب معرفتها لطلاب البكالوريا ؛ وتسوغ قراءته لكل اديب يهمّه الاطلاع الخاطف والنظرات الواسعة على حياة بلاد الشرق الادنى ؛ وهو متزن الحكم معتدل اللهجة في الكلام على العلاقات بين الشرق والغرب .

تاريخ اصول العالم الحديث

الكتب المدرسية المثبتة – اول ثانوي مطبوعات وزارة التربية والتعليم السورية – مطبعة المفيد – دمشق ١٩٥٧ ص ١٩٢ – ١٥×٢٤ – مصور

لا ذكر للمؤلف في هذا الكتاب فلا يخاطب ولا يعاتب . ومن شيء نرويه عنه احكم على الباقي . قال ص ٤ : انقسمت المسيحية في العصور الوسطى الى مذهبين كبيرين اولهما المذهب الارثوذكسي في الشرق وعلى رأسه بطريرك القسطنطينية والثاني المذهب الكاثوليكي وعلى رأسه البابا في رومة . فهل يفيدنا عن عدد السنين وعن اسماء الرجال في هذه المدة المستغرقة نحو الألف سنة ؟

وقال عن البابا انه اثبت انه خليفة القديس بطرس ... واحتل الباباوات مكانة سامية لانهم كانوا يتوّجون الاباطرة ويمنحونهم البركة والسلطان .

وقال : « كثيراً ما كان الخلاف يقوم بين الباباوات والاباطرة على فكرة من هو الاعلى ولكن الباباوات كانوا دائماً ينتصرون » . فماذا اراد المؤلف بهذه الاقوال وعن اي امبراطور تكلم وعن اي بابا ... فيجازف بالكلام عن غير سند ودراية ... (راجع ملاحظاتنا في ذيل المقال) .

تاريخ الوطن العربي

الصف السادس الابتدائي – مؤسسة الكتب المدرسية المؤمة – مطبعة الجمهورية بدمشق ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٨ م – التربية الاجتماعية ١٧X٢٣ ص ١٦٠ الف القسم الاول من الكتاب (حتى الفصل التاسع) الدكتور علاء الدين الخاني والقسم الثاني (من الفصل العاشر حتى آخر الكتاب) الاستاذ بسام كرد علي

اسهب المؤلف في الكلام على التقويم الهجري والتقويم الميلادي وادخل في الوطن العربي شعوب بابل واشور والارام وكنعان وفينيقية فضلاً عن مصر واليمن وشمالي افريقيا . وقال : «كانت شعوب هذه البلاد تتكلم لغات متقاربة فيما بينها يرجع اصلها الى لغة واحدة وهي اللغة السامية اي اللغة العربية الأم» . فعلى مثل هذه الاوضاع ذهب يبني الوطن العربي في عقول تلامذة الصف السادس الابتدائي. فمن اين اتخذ مصادره ؟ (راجع ملاحظاتنا في ديل المقال) .

تاريخ العرب الحديث منذ الغزو العثماني حتى الوقت الحاضر

الصف الثالث الاعدادي – مؤسسة الكتب المدرسية المؤمة – تأليف الدكتور احمد عبدالرحيم مصطفى ، محمد رشدي الجندي ، محمد ابراهيم العبحي ، فوزي بخيت حسين – المطبعة التعاونية بدمشق ١٩٦٠–١٩٦١–١٧X٢٤ مصور – ورق صقيل

في سنة ١٥١٦ فتح سليم الاول الديار السورية والمصرية . فيتناول هذا الكتاب تاريخ ٤٤٤ سنة خص بها المؤلفون الصفحات القلائل في الكلام على بني عثمان وباقي الكتاب جاؤوا به على التدخل الاوروبي في بلاد العالم العربي : الحملة الافرنسية ، الوعي القومي ، نهضة مصر ، قناة السويس ، الاستعمار في شمالي افريقيا ... تأسيس المملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية... الى قيام الجمهورية العربية المتحدة ، والى الجمهورية السودانية واستقلال الدول العربية ، وقضية فلسطين الخ... وكل فصل من هذه الفصول مكتظ بأعلام وارقام وذكر حوادث اشبه منها بما يظهر في عواميد الجرائد اليومية فأتى لطلاب الصف الثالث الاعدادي الزمان الكافي لدرسها على ما فيها من طرائف بنات يومها .

التربية الاجتماعية

الصف الرابع الابتدائي – مؤسسة الكتب المدرسية المؤمة – تأليف رشدي الجندي ، انور العقاد ، فيكتور كبه ، مصطفى فيض الله – المطبعة الجديدة – دمشق ١٩٦٠–١٩٦١–ص ١٢٧–١٧X٢٤–مصور– الحقوق محفوظة لوزارة التربية والتعليم

الدرس الاول : جمال عبد الناصر بطل الشعب ، صورته وترجمته – الدرس الرابع : حياة الرسول العربي محمد – طفولته ونبوته – الدرس الخامس : حياة

التيسير — شخصيته وعروبته . ومن ثم المدروس عن حمد عرابي ومصطفى كمال وصلاح الدين الايوبي والخلفاء الراشدين وسعد زغلول وشكري القوتلي . ولم يخيل اصحاب الكتاب المسيحية فخصوها بصفحة المطالعة عن « الكنيسة » فيصفونها ويفسرون الشيء من مظاهرها . (راجع ملاحظاتنا العامة في ذيل المقال)

التاريخ الحديث — منذ النهضة الاوروبية حتى اواخر القرن التاسع عشر

الصف الاول الثانوي — تأليف الدكتور ابو الفتوح رضوان ، الدكتور محمد احمدي عنبر ، الدكتور محمد احمد الغمر — مطبعة الانشاء بدمشق ١٩٦٠-١٩٦١

من عناوين الكتاب تطلع على حركة الفكر البشري منذ النهضة الاوروبية التي بدأت في القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي ومن عنده خاصة كان رجال الدين والعلوم الذين لجأوا الى بلاطات اوربا بعد فتح القسطنطينية وشرقي اوروبا .

وفصول الكتاب مشبعة بالتعليقات عن الكشوف الجغرافيـــة وبدء حركة الاستعمار وعن تقدم العلوم الطبيعية . وتوارث الشعوب في عالم الفن والصناعة . فأي هو نصيب العرب في هذا التطور العالمي ؟ لا يحجم المؤلفون من الاشارة الى واجب الاجتهاد في سبيل الترقي والعمران ويلذ لنا قراءة ما يكتبونه عن مساهمة العرب في احياء تراث البشرية في العلوم والفنون لكننا لا نوافقهم فيما يقولون عن سيطرة الكنيسة ومحاربة العلم (ص ٩٦) وغير ذلك من المطاعن بالمسيحية التي لا تجوز لا سيما بالكتب المدرسية .

تاريخ العالم العربي في العصر الحديث

الصف الثالث الثانوي — تأليف دكتور احمد عزت عبد الكريم استاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة عين شمس — دكتور عبد الحميد البطريق مدير البعثة التعليمية والمستشار الثقافي بلندن — دكتور ابو الفتوح رضوان استاذ التربية ووكيل كلية التربية بجامعة عين شمس — مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقي-الفجالة ١٩٦٠-١٧×٢٤-ص ٣٩٠

من ألقاب المؤلفين « العلمية » ينتظر كتاب قيم مفيد تسوغ مطالعته القراء من كبار التلامذة وخيرة المثقفين ؛ وقد احسن « الدكاترة » فيما يقولونه اعتدالاً وهم يسيرون من مرحلة العالم العربي في العهد العثماني من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر ، بين مصر وبلاد الشام والعراق والحجاز في المشرق ؛ وبين ليبيا وتونس والجزائر ومراكش في المغرب . ومن ثم في اواخر القرن التاسع عشر وفي قرننا العشرين يعودون بالكلام على كل بلد من البلاد العربية ويذكرون تطورات حوادثها من ايام الاستعمار العثماني او الاوروبي الى ايام استقلالها الى

قيام الجمهورية العربية المتحدة (فبراير ١٩٥٨) اذ تندغم سورية بمصر ويحق لهذا الكتاب ان يذكر في الحركة الفكرية في سورية وان يكن مصرياً طبعاً وتأليفاً.

جاء في ص ٢٨٦ : « ان ستين الف جزائري استشهدوا في ثورة الفداني » ان مثل هذه المبالغات والمجازفات تشوّه وجه كتاب جميل من عدة وجوه. الى اي مصدر استند المؤلفون في قولهم ؟

وما احرى رواة هذه الفظائع وامثالها بان يلطفوا من غلوائهم ويدوزنوها بما جاء مقابلاً لها من اعمال المروءة والانسانية ومنالها قريبة معرفته من المؤلفات المنصفة.

جاء في صحيفة « الشهادة المسيحية » .

Temoignage Chretien. Vendredi 27 janvier 1961. Vérité: Justice quoi qu'il en coûte.

اطلقنا نداءً طالبين ارسال طرود هدايا الى السجناء الجزائريين بمناسبة عيد الميلاد.

وما مضت ايام قلائل الا وجاءتنا ١٢٣ طرداً و٣٠٣ حوالة مالية من ٦٨ منطقة.

وزعت الطرود ١٧٠ على سجناء فرين (Fresnes) وسائر الطرود ارسلت الى عدة سجون في الاقاليم : بوردو روان تول ديجون اكس.

وبعض الطرود كانت مشفعة ببطاقات ومنها كتب عليها ما يلي :

لم يبلغ الينا نداؤكم الا مؤخراً وكثيرون من القراء لم يستطيعوا ان يرسلوا طرودهم في الميعاد المضروب ويسألون هل بامكانهم ان يساهموا بعمل الخير هذا وهل تأذن ادارة السجون الى السجناء الذين لم تصلهم الهدايا في عيد الميلاد ان يأخذوها في شهر رمضان ومستهله يكون في منتصف شباط من هذه السنة ١٩٦١.

تاريخ العرب المعاصر

القسم الثالث الثانوي – الفرع العلمي. تأليف الدكتور صلاح مدني، فائز الدالي : هاني مبارك – مطابع « دار النار » ١٩٥٨–١٩٥٩ في ٢٠٦ ق ٨.

طبعت هذه الاسطر العسجدية على ظهر الكتاب: هدفنا في التربية والتعليم بناء جيل عربي واعٍ مستنير يؤمن بالله وبالوطن العربي ويثق بنفسه وأمته... متسلحاً بالعلم والخلق.

اقول راجع ما جاء في الذيل عن التوتاليتاريسم.

دروس التاريخ

الصف السادس الابتدائي تأليف امين عارف وانور رفاعي مطبعة عارف — مطبعة الجديدة محطة الحجاز دمشق ١٩٦٠ ص ١١٨ ق ٨ صور

هذا الكتاب اشبه منه بمجموعة مقالات صحفية كتبت في يومها عن اخبار حوادث الحقبات الاخيرة — وفي دروس التاريخ للصف الخامس الابتدائي ١٩٥٩ في ص ٨٩ نشرت صورة « المأمون يزور مجلساً من مجالس العلم في بغداد » اخذاً عن كتاب الاب فرديناند توتل اليسوعي : « تاريخ سورية ولبنان وفلسطين المصور » (١٩٣٥) . المطبعة الكاثوليكية — واخذت الصورة من غير اذن المطبعة ولم يذكر مصدرها بموجب حقوق التأليف . وليس في الكتاب ذكر لمسيحية وفيه الدعاية الى الاسلام مما لا يوافق تعليمه في مدارس المسيحية .

دروس التاريخ

الصف الخامس الابتدائي تأليف امين عارف وانور رفاعي مطبعة الانشاء بدمشق ١٣٧٨هـ-١٩٥٩

قال ص١٧ : كان الغساسنة في موطنهم الاول اليمن وثنيين... فأعجبتهم الديانة المسيحية السمحاء .

فاقول : اتكون المسيحية اسمح من الوثنية ؟ هي التي تأمر بالكفران بالذات ولا تسمح بتعداد الزوجات .

و ص ٢٥ — ٤٨ : تاريخنا العربي الاسلامي...

فاقول : هذا الفصل كله دعاية الى الاسلام .

و ص ٥٩ : ولما فرغ ابو بكر من حروب الردة جهز اربعة جيوش وسيّرها الى الشام لتحارب الروم وتحرره من حكمهم وتعيد لعرب الشام حريتهم واستقلالهم وتنشر بينهم الاسلام .

فاقول : كيف يسمع التلامذة المسيحيون «الروم» هذا الدرس ولا تنقبض قلوبهم؟

و ص٦٥ : بهذه السياسة السمحاء التي عامل بها العرب سكان البلاد التي تحررت من الحكم الاجنبي دخل الناس في الاسلام افواجاً ...

فاقول : هذا من الادلة على ان السوريين المسلمين كانوا مسيحيين .

٣ً — ملاحظات — مؤلفو الكتب المدرسية

لقد راجعنا « تاريخ الآداب العربية » لبروكلمان الالماني ومعجم المطبوعات لسركيس ، وفيه ترجمة المؤلفين المعاصرين الى سنة ١٩٥٤ ولم نرَ لهم ذكراً فيكونون قد ألفوا كتبهم في هذه السنوات الاخيرة وهم في طليعة التأليف ، وقد يكونون من المعلمين في المدارس الحكومية . وان ممارستهم وظيفتهم الشريفة

لتجهزهم مع الزمان الى التدريس عن خبرة واقتدار ؛ اما موارد تعليمهم فتقدر قيمتها بقيمة المصادر التي يرجعون اليها . وانا سألهم باحترام ان احذوا ما احدوه في ما كتبوه وهل عرضوا على محك النقد ما كتبوه ليميزوا بين (الغث والسمين). لقد استندوا في مؤلفاتهم الى اقوال رجالات قد تكون لهم مكانتهم في الادب اما هذه المكانة فليست حجة يستند اليها في اثبات الحقائق التاريخية .

وقد تصطبغ صفحات هذه الكتب المدرسية المؤلمة بصبغة العجلة والاسراع في الانشاء والطبع فلم تختمر بالرزانة وحسن الذوق ولم تراع مقام المعلم والمتعلمين.

العهد الجاهلي — الاجحاف بحقوق المسيحية ومحاسنها

متات السنين مضين قبل الهجرة والجزيرة العربية وسكانها يعيشون منهم في الصحاري ومنهم في المدن وعيشتهم الى الامس بل لم تكد تتغير حضارة بيما كانت انطاكية والرها والاسكندرية محجات للعلماء ومصادر للثقافة . فلم تذكر الكتب المدرسية ميلاد المسيح ولا « الاعصر المسيحية »فجهلوا الاباطرة السوريين ساويروس الاسكندر المحسن الى المسيحيين وفيليب العربي الذي ولد في حوران من ام مسيحية .

ولم يفوا حقهم من الشكر الصناع السوريين المسيحيين الذين بنوا الهياكل الضخمة في بعلبك ودمشق وتدمر والرصافة ومار سمعان العامودي وغيرها .

ولا تسألوهم سؤالاً عن مدرسة الحقوق البيروتية ولا عن اساتذتها اوليبانوس وبابنيانوس ولا عن تلامذتها ومنهم غريغوريوس العجائبي وغريغوريوس النازيانزي ولا عن دوروتاوس واناتوليوس اللذان كانا من جملة الذين عهد اليهم بتحرير القانون اليوستينياني ولا عن افرام وسيرابيون وبروبوس ويعقوب الرهاوي ومارون ويوحنا الدمشقي ويوحنا فم الذهب واوغسطينوس واثناسيوس وكلهم من النجوم التي لاح نورها في آفاق العالم « بين الخليج والاوقيانوس » وكانوا لنا مواطنين فمسحت اسماؤهم من تاريخ الجاهلية «في عالم امتد من الصين الى اوروبا » . (راجع « تاريخ العرب من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن السادس عشر ؛ الصف الثاني الاعدادي ؛ رقم ٨) .

اين الحكمة اين الفن اين الجمال اين الاخلاق الطاهرة اين الاسرة المثالية اين الميادي التي هذبت ذراري البشر؟ — ألم تكن في شرقنا للمسيحي ؟

لقد بدت مظاهر الحكمة في بلاد اليونان وفي ارض الفراعنة ؛ لقد شعّ على الشرق والغرب نور المعرفة وجمال المدنية واساسه التوراة . واقهم بالتوراة الكتاب المقدس بكماله الشامل اسفار العهد القديم واسفار العهد الجديد . والدعاية

الى الحياة الرهبانية وشحبة القريب وغفران للاعداء سيئاتهم والصلاة من اجلهم . وانشاء الكنيسة التي مدنت العالم فعمرت بها بلاد ما بين النهرين وانطاكية ومصر والمغرب قبل ظهور الاسلام بحقبات عديدة حتى ان الجزيرة العربية لم تخل من مآثر هذا الجرورة .

وهذه آثار المسيحية تنطق احجارها في فيافي البيادي الى يومنا بذكرى انطونيوس وباخوميوس في صعيد مصر وسمعان العمودي في الشمال السوري وكل رجل من رجالات العصور تلك في البلاد التي ستدعى « عربية » تطلب ترجمته لوحة تصور مع خطط حياته خطط الزمان والبيئة التي عاش فيها ... فقد ضرب مؤلفو الكتب التاريخية المؤثمة صفحاً عنه ولم يخطر على بالهم ان يقفوا سويعة امام مصاف الكتب في دورها العامرة ليطلعوا على مئات منها التي كان عليهم ان يقرأوا شيئاً منها قبل ان يقبلوا على التأليف .

وكتبوا ما كتبوه عن البلاد « العربية » وشملوا فيها سورية ومصر والمغرب وفاتهم انها قبل الاسلام كانت اعزّ منها في ما بعده رجالا وعمراناً وثقافة وقداسة وما ان يقرأوا كتب الديارات ويحصوا عددها فيما كانت عليه ايام « الجاهلية » وينظروا الى ما صارت اليه بعدها ليتحققوا صدق مقالنا .

القرون الوسطى « عصور الظلام »

ان « الكتب المدرسية المؤثمة » تستوحي اقوالها عن القرون الوسطى من مؤلفات صدرت عن رجال معادين للدين الكاثوليكي فيكيلون باللوم على احوال القرون الوسطى بأشد ما يستطيعونه من الانتقاد المرّ وهم يعلمون بانهم في ذلك ينالون من كرامة الدين المسيحي. فلا يمكننا السكوت وطرح تلك الكتب بين ايدي اولادنا المسيحيين دون ان ننبههم الى الوقاية من سمومها .

ان الكتب المؤثمة تظهر القرون الوسطى موبوءة بالامراض والعاهات منكوبة بالمجاعات مظلومة بطغيان الاكليروس ؛ وتجاه تلك البلايا تستعرض احوال العرب ومحاسنهم وتقول شتان بين الظلام والنور وبين الجهل والغباوة في الغرب وبين المدنية عند العرب .

ويأخذون بمثل هذه الاقوال ويصورون صور العصور التي انتفضت في الغرب من العهد الروماني الى عهد النهضة (Renaissance) بأبشع الصور « هو طغيان الجهل والخرافات على العقول فلا حرية في الفكر ولا اجتهاد في سبيل ترقي العلوم بل هو الجمود الآخذ بالخناق المتسلط على الرقاب ليقود العباد طائعين منقادين على المعميش لاوامر البابوية وحلفائها » . وهذا الكلام دعاية غير مباشرة للاسلام لانه يحط من قيم الثقافة المسيحية ومدنيتها .

هل ترى اصحاب الكتب المدرسية ان الجامعات المسيحية في القرون الوسطى كانت توازي ما يرى اليوم في الازهر بعدد طلابها من سائر الطبقات الاجتماعية ومن سائر الامم وكان الفضل في تأسيسها للاباوات كما كان الفضل للرهبان والاساقفة في تأسيس المدارس . ومن رجال الدين كان المعلمون وكانت الكنيسة تفاخر اذ ترى الشبيبة الاكليريكية تنافس الشبيبة العلمانية في ظل معاهدها اقبالا على العلوم وارتشافاً لمناهلها .

رأي ابن خلدون

١٣٣٢ — ١٤٠٦

راجع : مقدمة . الفصل الثالث عشر (من الكتاب الاول — من المجلد السادس) ص ٤٧١ — ٤٨١ المطبعة الادبية طبعة ثالثة — بالشكل الكامل ١٩٠٠ بيروت

قال « في العلوم العقلية » :

...ان اكثر من عني بها في الاجيال الذين عرفنا اخبارهم الأمتان العظيمتان في الدولة قبل الاسلام وهما فارس والروم ؛ فكانت اسواق العلوم نافقة لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفوراً فيهم والدولة والسلطان قبل الاسلام وعصره ثم فكان لهذه العلوم بحور زاخرة في آفاقهم وامصارهم وكان للكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم من القبط غاية بالسحر والنجامة وما يتبعها من الطلاسم واخذ ذلك عنهم الامم من فارس ويونان فاختص بها القبط وطمى بحرها فيهم ...

واما الفرس فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيماً ونطاقها متسعاً ... ولما فتحت ارض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة كتب سعد بن ابي وقاص الى عمر بن الخطاب يستأذنه في شأنها وتنقيلها للمسلمين فكتب اليه عمر ان اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه وان يكن ضلالا فقد كفانا الله فطرحوها في الماء او في النار وذهبت علوم الفرس فيها عن ان تصل الينا.

واما الروم فكانت الدولة منهم لليونان اولا وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب وحملها مشاهير من رجالهم ... واتصل فيها سند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه بقراط الذي ثم الى تلميذه افلاطون ثم الى تلميذه ارسطو ثم الى تلميذه الاسكندر الافرودسي وتامسطيوس وغيرهم . وكان ارسطو... ارتخيهم في هذه العلوم قدماً وأبعدهم صيتاً وكان يسمى المعلم الاول...

ولما انقرض امر اليونان وصار الامر للقياصرة واخذوا بدين النصرانية ... قد ملكوا الشام ، وكتب هذه العلوم باقية فيهم ثم جاء الاسلام وكان لأهله الظهور الذي لا كفاء له وابتزوا الروم لكنهم فيما ابتزوه للامم وابتدأ امرهم

بالسذاجة والغفلة عن الصنائع حتى اذا تبحبح من السلطان والدولة واخذ الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الامم وتفننوا في الصنائع والعلوم : تشوّقوا الى الاطلاع على هذه العلوم الحكمية بما سمعوا من الاساقفة والاقسة المعاهدين بعض ذكر منها وبما تسمو اليه افكار الانسان فيها .

فبعث ابو جعفر المنصور الى ملك الروم ان يبعث اليه بكتب التعاليم مترجمةً فبعث اليه بكتاب اوقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها .

وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان ينتحله فانبعث لهذه العلوم حرصاً وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربي وبعث المترجمين لذلك .

فاوعى منه واستوعب وعكف عليها النظار من اهل الاسلام وحذقوا في فنونها وانتهت الى الغاية انظارهم فيها وخالفوا كثيراً من آراء المعلم الاول واختصوا بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده ... وكان من اكابرهم في الملّة ابو النصر الفارابي وابو علي بن سينا بالمشرق والقاضي ابو الوليد بن رشد والوزير ابو بكر بن الصائغ بالاندلس ...

ثم ان المغرب والاندلس لما ركدت ريح العمران بهما وتناقصت العلوم بتناقصه اضمحل ذلك منها الا قليلاً من رسومه تجدها في تضاريق من الناس وتحت رقبة من علماء السنة .

... كذلك بلغنا لهذا العهد ان هذه العلوم الفلسفية ببلاد الافرنجة من ارض رومة وما اليها من العدوة الشمالية نافقة الاسواق وان رسومها هناك متجددة ومجالس تعاليمها متعددة ودواوينها جامعة متوفرة وطلبتها متكثّرة . (ص٤٨١ سطر ٢٠–٢٣

ما تعلمه الافرنج في مدارس العرب

كتب الاب شيخو في المشرق ١٧ : ٣١٦ ... « في مقالة في شهر آذار من مجلة الهلال ١٩١٤ اتسع جرجي افندي زيدان في ذكر ما للشرقيين من الفضل على اهل المغرب... وافتتح الكلام بفصل عنوانه « ما تعلّمه الافرنج في مدارس العرب » وزعم هناك (ص ٤١١) ان طلاباً من الاسبان والايطاليان والانكليز والفرنساويين وغيرهم كانوا يتزاحمون في مدارس العرب. « وان الافرنج استفادوا من تلك المدارس فوائد علمية وادبية لا ينكرونها » ، وخص بالذكر « البابا سلفستر الثاني في القرن الحادي عشر للميلاد قبل ان يصير حبراً وكان اسمه جرير » الخ. وقد احال الكاتب الى كتابه « التمدن الاسلامي » فراجعناه لننظر الى اي سند يسند زعمه فلم نجد شيئاً مما كنا نؤمله . فما بقي لنا الا ان

نطلب من منتهى افضال ان يحيينا في مجلته ويعين لنا كتب العرب التي اعتمدها المذكر هذا الامر الجلل فاننا راجعنا كتب تواريخ الاندلس لابن بشكوال وللضبي وللقاضي صاعد الاندلسي ولابن الابار وللمقري فلم نجد اثرًا لزعمه .

اما قوله عن البابا سلفستر الثاني فلدينا شواهد العلماء تفنيدًا لقول الزاعمين بانه درس في مدارس العرب في اسبانية . فان كان لصاحب افضال حجة منافية لقولهم فليتكرم بها علينا والا لصح لنا القول بانه يرمي الكلام على عواهنه ويكتب دون تروٍّ ليتزلف الى قرائه المصريين بتضحية حقوق التاريخ. اما اذا استند الى كتبة من الافرنج فلا بُدَّ من تعريف اولئك الكتبة لان كثيرين منهم لا يعول على شهادتهم كسيديليو وامثاله الذين يهرفون بما لا يعرفون ويزيف المحدثون مزاعمهم . ولا نقول ذلك لننكر فضل العرب وانما نريد ان تثبت الحقائق التاريخية بالبراهين لا بالاوهام والتخيلات » .

ان امام مؤلفي «الكتب المدرسية المؤثمة » « وما شاكلها انما هو غوستاف لوبون صاحب كتاب « مدنية العرب » Gustave Lebon: *La Civilisation des Arabes* وكان اديباً عالماً بالطبيعيات وكان طبيباً لكنه ليس من فرسان المستشرقين ممن يشار اليهم بالبنان فليس هو حجة في التاريخ فليس بين علماء المستشرقين من يستند الى تأليفه .

نحن ونكتب هذا المقال جاءنا مدير المكتبة الشرقية بكتاب ألفه غستون فيات الزائع الشهرة بما كتبه عن مصر والبلاد الشرقية عامة وعن مصر خاصة وذلك الكتاب عنوانه الجميل دليل على ما يحويه من فصول ثمينا لو يقرؤها مؤلفو الكتب المدرسية ويستوحوا منها مواد كتبهم معربةً للتعليم وهو بالافرنسية :

Gaston Wiet, de l'Institut : *Grandeur de l'Islam de Mahomet à François Ier*. Paris, 1961.

ومعناه (عظمة الاسلام) . وفيه الكلام عن امجاد العرب ومفاخرهم من عهد النبي محمد الى ايام السلطان سليمان القانوني ويستند صاحبه الى العشرات من علماء المؤلفين من عرب وافرنج من مسلمين ومسيحيين ولا يذكر سيديليو ولا غوستاف لوبون.

الحروب الصليبية

استغرقت اطوارها حوالي مائتي سنة (١٠٩٨ — ١٢٩١) . وكان سببها البعيد احتلال الاسلام قبر المسيح واراضي المسيحيين المقدسة . وفي هذه الاراضي احتكاك واصطدام المسيحية بالاسلام . ومن العسير الكلام عن ذلك الاحتكاك والاصطدام من دون اثارة ذكراوات مؤلمة وكتابة صفحات تنتابها اعمال القساوة والفظاعات الواقعة في كل حرب بين البشر

وتاريخ الحروب الصليبية فصل من فصول التاريخ العالمي والديني معاً . وفيه المحاسن والمساوئ وهي تلحق بكلا الفريقين المتحاربين احدهما المسيحي والثاني الاسلامي . والفطنة كل الفطنة لازمة في تدريس هذا الفصل في المدارس لا سيما ان كان المعلمون والتلامذة ليسوا كلهم مسلمين او كلهم مسيحيين .

اذكر المشقات التي كان يعانيها المعلم في المدارس المختلطة بين تلامذة افرنسيين والمان اذا ما جاء على ذكر حرب السبعين او على ذكر الحرب الكونية الاولى والثانية كأنك تقلب بين يديك جريحاً كيفما مسسته ادميته . فسلامة الذوق والدراية والذكاء تملي في مثل تلك الظروف على مؤلف الكتاب ما يجب ان يكتبه فلا يجرح القارئ ولا يمسه بالتسميم . ومن البديهي ان العاطفة الدينية تتألم وتثور في التسميم في حوّ الصف حيث التلامذة يكونون من المسلمين ومن المسيحيين

واعلم ان فظائع الصليبيين حدثت بالرغم عن قوادهم . وليس من الانصاف اخذ الحدث الفرد عنواناً لسائر الاحداث . ومن امثال ذلك لم يخلُ تاريخ العرب واحسن مؤلفو الكتب المدرسية المؤممة ولم يذكروه ولكن رأينا ان نأتي على شيء من ذلك للتوازن التاريخي .

قال الطبري في سنة ٩٠ « اوقع قتيبة بأهل طالقان بخراسان فيما قال بعض اهل الاخبار فقتل من اهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم ستمائين اربعة فراسخ في نظام واحد » .

وقال ايضاً في سنة ٩٩ « حج سليمان بن عبدالملك فلما كان بالمدينة واجعاً تلقوه بنحو من اربعمائة اسير من الروم فعقد واقربهم منه مجلساً عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم وجعل يدفع الاسرى الى وجوه الناس يقتلونهم ... » (ص ١٣٨) .

وقال « في السنة ١١٨ عن الكرماني انه كان يعامل الاسرى على هذه الصفة فثلث منهم يصلبهم وثلث يقطع ايديهم وارجلهم وثلث يقطع ايديهم » (ص ١٥٩١) .

وقال : « في سنة ١٢٧ وقف مروان موقفاً وامر ابنيه فوقفا موقفين ووقف كوثر صاحب شرطته في موضع امرهم ان لا يؤتوا باسير الا قتلوه الا عبداً او مملوكاً فأحصى من قتلاهم يومئذ نيف على ثلثين الفاً ... » (ص ١٩١٠).

وجاء في تاريخ الفخري سنة ١٣٢ هـ عن ابي العباس السفاح : « وكان كريماً وقوراً عاقلاً كاملاً كثير الحياء حسن الاخلاق . وتحول من الحيرة الى الانبار ولما استوثق له الامر تتبع بقايا بني أمية ورجالهم فوضع السيف فيهم واغراه على

قتلهم سديف الشاعر فأنشده وسليمان عبد الملك حاضر في مجلسه مع سبعين رجلاً من بني أمية .

لا يغرنك ما ترى من رجال ان تحت الضلوع داء دوياً
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها اموياً

فالتفت احدهم الى من بجانبه وقال قتلنا العبد . ثم امر بهم السفاح فضربوا بالسيوف حتى قتلوا . بسط النطوع عليهم وجلس فوقهم فأكل الطعام وهو يسمع انين بعضهم حتى ماتوا جميعاً .

وان مثل هذه الفظائع يوجد في تاريخ الشعوب اذا اضطرمت نار الحرب واستأسد الانسان على الانسان . وياليت المؤرخين يذكرون اعمال الرحمة التي كانت تقتدي عمال القساوة في الحرب .

فيجعلون من تاريخهم صورة اقرب الى الحقيقة وجديرة ان تبعث في نفس التلامذة فلا تربي فيهم البغضاء .

جاء في تاريخ الازمنة للدويهي (طبعة بيروت ، المشرق ١٩٥٠ ص ١٤) : « سنة ١١٠٢م ٤٩٦ هـ. انهزم بلدوين مع جماعته ودخل قلعة الرملة عند المساء وصاروا تحت خطر عظيم ولكن دخل اليهم رجل من اعيان العرب...وخرج بالملك وجماعته ليلاً ونزل بهم الى سروج... [وخلصهم] . وذلك ان لما بلدوين قاتل العربان وان لما انهزموا ... كانت زوجة البدوي مع جماعة العربان ولما انهزموا دنت ساعتها لتوضع فأمر الملك ان لا احد يأذيها بل يعطوها ناقتين مرضعات وقربتين ماء وأكل وفرشة من الكسب وخادمة تخدمها . فلما بلغ ذلك بعلها رجع جميلته فوافاه في هذا المحل .

هذا ولا نجهلن ان للمسيحيين نظرات في الحروب الصليبية غير ما هي لغيرهم . فيكيلون الكيل الداعي الى التفاهم لا الى البغضاء وما اسهل ذلك اذا ما افاضوا في ذكر النتائج الصالحة التي نتجت عن الحروب الصليبية .

وان الكتب المدرسية المؤلمة مشحونة بشتى الاقوال والنصوص الغير موافقة للحقيقة والتي لا يوافق تعليمها في المدارس المسيحية لا سيما اذا اخذ المعلم يخبط خبط العشواء في المواضيع الحساسة المثيرة النعرة الدينية .

وان هذه الملاحظة فيما يخص الحروب الصليبية لها ايضاً وقعها على مستوى الطريق لمن يعلم التاريخ في البلاد الشرقية التي كانت للمسيحية ثم انسلخت عنها بالاسلام ولم يزل ذكر انسلاخها يتجدد كلما ثارت فتنة بين سواد العامة من الجهال[1] .

(١) في المظاهرات التي صارت في دمشق في انقلاب ٨ اذار تعدى بعض الرعاع على المسيحيين

ثما احرى بكتبة التاريخ بان يفهموا حراجة الموقف ويختاروا عنه بسرعة الى الكلام عما يجب ان يلقن الناشئة داعياً اياها الى التسامح والتفاهم اذا جاء ذكر الغرب والغربيين باعتبار الصلة الدينية الرابطة بين المسيحيين الشرقيين وبين الغرب.

فاعتذرنا يا مؤلفي «الكتب المدرسية المؤممة» من المشاحنة والمقابلة بين الشرق والغرب ولا تجعلونا اضحوكةً للجيل الناهض بان يعيرونا بما «كان ابي» فلا يشست بنا الاجنبي اذا قرأ ما جاء في كتاب «دروس التاريخ».

«(ص ٨٧) ويروى ان الرشيد بعث الى شارلمان بهدية كبيرة فيها فيل ضخم اسمه ابو العباس وقشة حريرية فاخرة وشطرنج وساعة دقاقة خاف منها رجال شارلمان حين رأوها تتحرك وظنوا ان الرشيد وضع فيها الجان والسحرة ليحركوها مما يدل على تقدم العلم في الدولة العربية وتأخر العلم في اوروبا في عصر الرشيد»!

الدعاية الى الاسلام

فان كان على المعلم ان يربي الجيل الناهض على مبادي الوطنية الصادقة ليأخذ بعدم الدعاية الى الاسلام وليفرق بين الاسلام والعروبة فرقه بين الاسلام والمسيحية. وهذا العلم العربي يخفق على رؤوسنا نحن المسيحيين فنستميت في ظله علماً مقدساً فنحميه بواجب ايماننا المسيحي ويحمينا آمنين من كل شماتة او اضطهاد.

ورب قائل يقول:

ومن يضطهدكم؟ وما شكواكم؟

اقول ان شكوانا علته «الكتب المدرسية المؤممة» ومضطهدونا هم مؤلفو «الكتب المدرسية المؤممة» لانها تضغط بكابوس على الاولاد المسيحيين فتمس اعتقاداتهم وتوبئ الجو الذي يعيش فيه التلميذ المسيحي وتقاوم حرية ضميره وتخلق بين التلامذة المسيحيين والتلامذة الغير المسيحيين في مدرسة واحدة توتراً لا ترضى به ادارة التعليم في البلاد الراقية. لقد قرأنا واياك في «الكتب المدرسية المؤممة» عناصر متأتية من جوّ اسلامي يؤدي الى التفرقة في مصاف التلامذة ومس عواطف الاولاد المسيحيين والحط من كرامتهم.

ان اللازمة في هذا النشيد هي ما جاء اخذاً عن القرآن الكريم سورة

في القصاع رباب توما واعين بعض الكهنة الملكيين الارثوذكس فاضطرب المسيحيون وخافوا اعادة ما عرفه آباؤهم من الاضطهاد ولكن ابراهيم الحمزاوي محافظ دمشق جاء للحال يطلب المعذرة من ممثلي الطوائف المسيحية وقال ان هذه الحادثة المأسوف لحدوثها هي مخالفة لروح ثورة ٨ اذار ومناقضة لعاطفة التآخي الموجودة في قلوب المسلمين نحو مواطنيهم المسيحيين – (عن مكتب الاذاعة–لوجور ١٣ اذار ١٩٦٣). راجع المشرق ص ٧٣٥، ١٩٥٧ : «العروبة ليست الاسلام».

آل عمران (١١٠) في قيمة الامة العربية : « كنتم خير أمة اخرجت للناس » .

ومن القرائن في هذه الكتب معنى « خير أمة » هي العرب المسلمون . وما احرانا بالمقابلة بين « العروبة » الداعية اليها الكتب المدرسية وبين ما جاء من امثال ذلك في مبادي التوتاليتاريسم Totalitarisme الفاشيستي والنازي والسوفياتي القائل بواجب خضوع الرعية المطلق للدولة فلا يحق لأحد ان يعارضها في امر من الامور .

اتخيم هذا الظلام على البلاد العربية المباركة ويحرمها حرية التعليم فارضاً عليها « الكتب المدرسية المؤممة » وما شاكلها ؟

واليك ما جاء في تعاليم الفاشيستية الرسمية .

« انا اؤمن بروما الابدية الغير ممكن محوها . فهي ابي ووطني وهي الشعلة المتسلطة على المدنية الاوروبية وعلى العالم . فايها اعجوبة الله في خلائقه لقد تكوّنت في احشاء النبوغ والحكمة والعلم والفن . لقد اضطهدها البرابرة المستعمرون وصلبوها ومزقوها ودفنوها . لكنها عادت الى جدودها ونهضت بروحهم وشعائرهم وافكارهم بنصر فيتوريو امانويلي وبالفاشستيين الاحرار . هي روما الجديدة المضاهية بعزها ، روما القديمة .

هذا ايماننا بموسوليني ، وبالشعب الايطالي » .

وان هذه الأمة التي ستخفق اعلامها على الخافقين اتكون عربية او اسلامية؟

فالعرب اصلاً وفصلاً ولغة وديانة شكل .

والاسلام اصلاً وفصلاً ولغة وديانة شكل .

وان التلامذة الذين يدرسون هذه « الكتب المدرسية المؤممة » المحفوظ تأليفها ونشرها وطبعها لوزارة المعارف قد يكون اكثرهم مسلمين ولست ادري هل يكون هؤلاء الكثر اصلاً من العرب ؟ فالبربر في المغرب والمصريون في مصر والمستعربون في سورية ولبنان ليسوا عرباً اصلاً ، وليسوا كلهم بمسلمين ، فهل يجوز ان يطلق عليهم ما جاء في « القرآن الحكيم ، سورة آل عمران ١١٠ » كعنوان لتاريخهم كما جاء في لازمة النشيد .

ولنفهم القارئ اللبيب بأني اذ اطرح السؤال فليس من غايتي التمزيق والتفريق بل اريد واياه ان ننظر الى الحقائق بعين التبصر والوعي فلا نخطئ الهدف الذي اقرأه على الصفحة الاخيرة من تاريخ العرب المعاصر للدكتور صلاح المدني ...

« تثبيت مكانة الأمة العربية المجيدة وتأمين حقها في الحرية والامن والحياة الكريمة » ...

وان هذا الخدف يقضي بان نصهر عناصر البلاد العربية لغةً في بوتقة يخرج منها المذهب الخالص . فلا يضاحر فيـــه العرب الاقحاح على العرب المستعربين ولو من « اهل الذمة » .

« الغسيل الوسخ يغسل في البيت »

انه لعسير جداً على كتبة تاريخ الشرق الأ يتسطدموا في كل فصل من فصوله بقضية المسلمين والغير المسلمين . وهكذا قضت الاقدار وهذا ما يظهر جلياً في طيات « الكتب المدرسية المؤتمة » ..

ولعل متاكل الحروب الصليبية واخرطقات وتواريخ الكنيسة والباباوات يأتي ذكرها في الكتب المدرسية في بلاد العرب ويذهب فيها المؤلفون شتى المذاهب والروايات عنها مختلفة بين البروتستانت والارثوذكس والكاثوليك : وربما ضعت في صميم الامر يأخذها بعضهم بالرضى وغيرهم بالامتعاض .

ومن امثال ذلك ما يظير يومياً في الصحافة الغربية المطلقة الحرية في الانتقاد فلا يكاد ينجو من سهامها اصاب او اخطأ رجال الدين ولا يلبث ان يهمد اوارها . فلا تثير الفتن بين الطوائف المسيحية وقد يطلق عليهم المثل السائر : « الغسيل الوسخ يغسل في البيت » On lave le linge sale en famille

اما في بلادنا الشرقية فلا يهون على المسيحي ان يسمع المسلم ينتقد ديانته ويعد الناس اثارة هذه المشاكل مدعاة للفتن.

وان مؤلفي « الكتب المدرسية المؤتمة » لم ينتبهوا الى هذه الحقائق . ويا لسوء الحظ كما قلنا ان تاريخ العرب والاسلام على طول الايام معطدم بمجابهة المسيحية اينما توجه او يكاد . واصبح من الصعب جداً على مؤلفي « الكتب المدرسية المؤتمة » ان يتقوا شر هذه الفتنة بين التلامذة . او اذا الجئ هؤلاء الى بلع ريقهم والسكوت وهم صغار فلا ينفكون يحفظون الحفيظة والكمد لسماع الاستاذ في التدريس يكيل باللوم على المسيحية والباباوية والصليبيين فينشأ الاحداث وصدورهم موغرة بما سمعوه . وادمغتهم محشوة بما كيل عليهم كيلاً فائضاً من العرب والاسلام وافضالهم في سائر انواع العلوم والفنون والترقي والمدنية وضمائرهم غير مرتاحة لما وعوا .

وكأن صاحب كتاب « التاريخ الحديث في الشرق والغرب » بعد ان روى ما رواه اخذاً بما امر به من وزارة المعارف فاشعر بحراجة موقفه وندم على ما كتب فصدر كتابه بشعر وقعه باسمه فقال :

حياة كلها زفتُ فلا حظ ولا بختُ
ولا استاذ يسعفني اذا في الفحص تنيتُ

ولا قس ولا شيخ يصلي اذا مت
ولا اقطاعي يتولى اذا ما يوماً اطلت
اذا لم تنشروا قولي وهذا خير ما قلت
لاهجرنكم ودنياكم شجاء حله قرت[1]

العلامة
صاحب الكتاب

فمن لا يرى ان هذه الخواطر تدل على عدم تأدية الكتب ما كان منتظراً منه ليكون مرجعاً قيماً للمعلم والمتعلم ؟!

ويروق لنا ختام هذا المقال فيما يلي :

« لا تعصب في الدين »

ان جريدة «الجمهورية» الصادرة في وهران (الجزائر) في عددها المؤرخ في ٢٩ شباط ١٩٦٤ نشرت مقالا لحكومة (تشاد) صادراً عن المجلس الاقتصادي الاجتماعي موجهاً الى الامم المتحدة عرضت فيه الى مشروع قانون بالغاء كل نوع من انواع التعصب الديني ، واليك فحواه :

« ان الدول الموقعة اسماءها على معاهدة الامم المتحدة عليها ان تتعهد في القانون الاساسي الذي تتخذه في المحافظة على مبدأ لا دينية الدولة وبالمبدأ الصادر منه في انفصال الكنيسة عن الدولة .

فيجب الاشادة بمذهب المسامحة وعلى الحكومة ذات الصلاحية ان تراعي حقوقه فتنشر رسمياً الممارسة الحرة لكل الديانات التي لا تمس بالنظام العام وان تنص العقوبات ضد كل شخص او فرقة تضر او تحاول ان تضر بخير اشخاص مدفوعة بالتعصب الديني » (*Revue de Presse*. Mars 1964 No 83. Afrique).

اصالة الرأي صانتني عن الخطل

وهذا البحر الخضم المتلاطمة امواجه لا اقول بين الخليج والاوقيانوس ولكن بين المشارق والمغارب اعني به دائرة المعارف الاسلامية التي ينقلها المصريون الى العربية والاتراك الى التركية ؛ هل يكون لها وجود لولا علماء الغرب الذين اكبوا على دراسة آثار الشرق وابدعوا وجاؤونا بما لا كان لنا الحلم به . وهؤلاء العلماء الذين توجت الحكومة المصرية باسمائهم متحف آثارها العظيم فانهار عرش محمد

(١) هذا الشعر مسطر خطأ ويتصدر الصفحة الثانية من كتاب التاريخ الحديث في الشرق والغرب – لصف الشهادة المتوسطة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م :

علي ولم تزل على جبهة المتحف المصري تنطق بفضل علماء الغرب . ومن الكياسة والكرم ان نشيد بذكر الصالحات ولا يعرف الاحسان الا ذووه الكرام .

ولا تسأل عن المشاريع الكبرى في العمران كالسفن البخارية والخطوط الحديدية والخطوط الجوية والنفق تحت الجبال والطرقات المخترقة الاقطار التي احذقها الشرق عن الغرب وعن العشرات او المئات النوابغ في العلوم والفنون من اهل الغرب واصحاب جائزات نوبل الحقيقين بان نقتفي آثارهم ونغض النظر عن نقائصهم ولا عار علينا في البلاد المتوغلة في الصحاري والرمال تحت الشمس المحرقة اذا سبقنا سكان المناطق المعتدلة في ميادين الاختراعات المساعدة عليها الانواء والمياه كأن الحق سبحانه وتعالى الذي انعم على بلادنا الشرقية بان تكون مهداً لدين المرحمة اراد ان يدعونا الى التواضع فيما نلناه من مراحمه من غير استحقاق منا فيخاطبنا ويقول عن لسان النبي اشعيا : (٥٥ : ٨) « ان افكاري ليست افكاركم ولا طرقكم طرقي » . وعن لسان بولس الرسول الى اهل كورنتس (٢ : ١٣ : ٣١) : « تنافسوا في المواهب العظمى وانا اريكم طريقاً افضل جداً » .

جهزنا لطبع مقالنا على « الكتب المدرسية المثوبة » وفي هذا النهار ١٦ ايار قرأنا البلاغ الصادر من حاضرة الفاتيكان : اجتمع في رومة ممثلو التعليم الكاثوليكي في البلاد العربية وفي بلاد الشرق الادنى والاوسط ولم يكن غائباً بينهم الا ممثل قبرص وليبيا والعراق والسودان — ان عدد المدارس الكاثوليكية في البلاد المذكورة هو ١٫٤٥٠ وبمجموع تلامذتها اربع مئة الف . يعلم فيها ١٥٠٠٠ معلم ومنهم ١١٠٠٠ علمانيون . وجاء في البلاغ ان العقبات التي تعترض طرق التعليم في البلاد العربية تتنوع بانواع المناطق لكنها تتشابه جوهرياً بسبب الاوضاع المشتركة بينها في المراد التاريخية القديمة والمعاصرة فيما يخص العلاقات بين الكثلكة والشرق وبين الكنيسة الرومانية والاسلام . وجاء في البلاغ انه لا بد من ازالة كل داع يحول دون ولاء المدارس الكاثوليكية المطلق للمؤسسات الوطنية في البلد العربي . وطلب الى المسؤولين عن التعليم الكاثوليكي ان يشجعوا المعلمين والتلامذة على المساهمة في بنيان الامة في كل من تلك المناطق لينشطوا فيها روح الوطنية العادقة طبقاً لمبادئ المحبة المسيحية والكثلكة في الكنيسة .

l'Orient, 17 mai, 1964

(يتبع التعريف على المجلات)